الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة
Emir Abdelkader University of Islamic sciences
Constantine

كلية:	كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية
Faculty:	
قسم:	العقيدة ومقارنة الأديان
Departement:	

عنوان المطبوعة

Title of the Dissertation

✓ مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة:	✓ السداسي:
سنة أولى ل م د Academic Pedagogical Publication Addressed to:	Semester:

✓ الميدان:	محاضرات في الفلسفة اليونانية	Domain:	
✓ الشعبة:		Field or subfield:	
✓ التخصص:	عقيدة	Specialization:	
إعداد الأستاذ(ة):	عبد العزيز بوالشعير	Submitted by:	

اعداد الأستاذ(ة): عبد العزيز بوالشعير Submitted by: ----------

السنة الجامعية (Current Academic Year): 2010 / 2011م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية
قسم العقيدة ومقارنة الأديان

محاضرات في الفلسفة اليونانية

لطلبة السنة الأولى عقيدة
نظام "ل–م–د(LMD)

إعداد الدكتور عبد العزيز بوالشعير

السنة الجامعية: 2011/2010م

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل عام

هذه المطبوعة موجهة لطلبة العقيدة تحتوي على سلسلة من الدروس العامة حول الفلسفة اليونانية،سعينا فيها لطرح الأفكار الفلسفية بطريقة مبسطة ميسورة ،مع الإشارة إلى أن أصعب المصطلحات والأفكار وأعمقها كامن في الفلسفة اليونانية.ومثل هذه الأفكار صعبة في حد ذاتها مهما جرى التعبير عنها بوضوح، ومهما يكن الشرح مستفيضا فإنه ليس بكاف إلا لجعلها صعبة بالنسبة للعقل غير المتمرس.

إن الفلسفة اليونانية لم يتقادم عليها العهد إلى يومنا هذا، فهي غنية بالمفاهيم والتصورات والأفكار والإشكاليات والقضايا التي بقيت حية إلى اليوم، فهي فلسفة تحتوي على قدر من الحقيقة، تلك الحقيقة التي لا تتقادم ولا تشيخ مع مر الزمن.إن الحقيقة الفلسفية تكشف ذاتها عاملا إثر الآخر في الزمن في مذاهب الفلسفة المتعاقبة ولا نجد الحقيقة الكاملة إلا في التسلسل الكامل.إن مذهب أرسطو لا يلغي ويدحض بكل بساطة مذهب أفلاطون، بل يكمله باعتباره مكمله الضروري.إن مذاهب الفلاسفة كلها سواء عوامل للحقيقة،إنها صادقة الآن كما كانت في أزمانها وإن لم تكن وما كانت أبدا الحقيقة كلها،ولهذا لا يمكن اعتبارها بكل بساطة خاطئة و أنها ولت وأنها انتهت وتلاشت،ولهذا لا نستطيع أن ننساها.

إن أي تفكير فلسفي لا يتأسس على دراسة شاملة بمذاهب الماضي سيكون بالضرورة ضحلا وبلا قيمة.وما يخطر لنا من أفكار تذهب إلى أنه يمكننا الاستغناء عن هذه الدراسة وأن نبدأ كل شيء انطلاقا من عقولنا وان كل إنسان يستطيع أن يكون فيلسوف نفسه،وأنه قادر على تشييد مذهبه بطريقته الخاصة،مثل هذه الأفكار هي أفكار جوفاء وضحلة تماما.[1]

إذا كان الفكر هو الذي يميز الإنسان عن الحيوان، فإنه أيضا الذي يميز بين إنسان وإنسان، وبين شعب وشعب، وبين أمة وأمة، وبين عصر من عصور التاريخ وعصر آخر،فنحن لا نفرق بين الناس على أساس ثرائهم و لا مظهرهم و لا أحجامهم وأعمارهم...الخ.لكنا نفرق بينهم يقينا على أساس طريقتهم في التفكير.وحين قال سقراط لجليسه:"تكلم حتى أراك" لم يكن يعني إلا ما نعنيه الآن،وهو أن الكلام أو النطق-يعني التفكير-هو الذي يعرفنا بالأشخاص،قل لي كيف تفكر؟أقل لك من أنت،وإلى أي الفئات تنتمي،بل في أي العصور تعيش...؟

الفكر إذن هو الأساس دائما حيثما يكون هناك إنسان:فردا أو شعبا أو جماعة أو تاريخا...الخ .والفلسفة هي نمط خاص من الفكر، أو قل أنها الفكر في أعلى مراحله. يقول الفيلسوف الانجليزي المعاصر ف "هـ-برادلي Bradley "افتح عينيك جيدا،وتأمل طبيعة البشر،أكان يمكن أن يقلع الإنسان عن التفكير والتأمل؟أن العالم بالنسبة له –مشاركته فيه –موضوع طبيعي للتفكير،وسوف يظل كذلك...أن الميتافيزيقا ترتكز في قيامها على طبيعة البشر،أعني على الرغبة في التفكير في الواقع ومحاولة فهمه".[2]

والفلسفة كما يذهب أغلب المؤرخين والفلاسفة أصلها يوناني،ومعناها محبة الحكمة،ولقد أوتي أقوام كثيرة من قبل اليونان ومن بعدهم حكمة وفكرا وحضارة وفنا ولكن الحكمة التي اختص بها اليونان كانت فريدة في نوعها وإليها وحدها ينصرف اسم الفلسفة بمعناها الدقيق.فاليونان هم أول من قدم المنهج والمصطلح الذي سارت عليه الفلسفة إلى اليوم، ومذاهبهم التي جادت بها قرائح فلاسفتهم قد

[1] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد،الطبعة الثانية،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،1425هـ،2005م،ص 7،9.

[2] F.H .Bradley ;Appearance and Reality; A Metaphysical Essay; Oxford of the clarendon press;London,1959;p 3;4,

امتدت إلي تفسير الكون والحياة الإنسانية على السواء حتى ليمكن القول أنهم أول من حدد المشكلات والاتجاهات الرئيسية في الفلسفة حتى اليوم.

وتجدر الإشارة إلى أن الفلسفة اليونانية التي ولدت في القرن السادس قبل الميلاد كانت ثمرة لظروف وعوامل حضارية واقتصادية خطيرة. كان العامل الرئيسي لنشأة الفلسفة في اليونان هو انتقال المجتمع اليوناني من مجتمع قبلي تحكمه التقاليد الموروثة والأساطير الدينية ويقوم على اقتصاد بدائي أساسه الزراعة والرعي إلى مجتمع دولة المدينة city,state [3].لأن الفلسفة هي وليدة عصرها،إنها عصرها ملخصا في الفكر كما يقول هيجل.والفيلسوف أحيانا لا يمكن أن يكون مجرد صدى لعصره،بل لابد له من أن يشرئب بعنقه نحو ذلك المجهول الذي لا يزال سرا خافيا على رجال عصره.فهو يبرز الأفكار الأساسية التي يقوم عليها، والتي يعمل بها الناس دون وعي منهم. إن الفلسفة هي المرحلة التي يصل فيها العقل الكلي إلى وعي بذاته. إنها لا تبني مجتمعا من لا شيء، ولا تخلق نظاما من العدم، بل هي تعبير عن روح العصر بوصفها حاضرة في ذاتها.[4]

وهذا يبيّن كيف ظلت الفلسفة تؤثر في حياة الناس بشكل مباشر حتى بالنسبة لأولئك الذين لم يسمعوا عنها قط،فهي الفكر الذي يقوم عليه مجتمع ما،إن فسد فسد هذا المجتمع،و إن فقده "قدم لنا منظرا عجيبا:منظرا يشبه معبدا فخما زين من جميع جوانبه بزخارف جميلة،لكنه فقد قدس أقداسه."[5]

والتفكير الفلسفي وثيق الصلة بكل الميادين الثقافية الأساسية في المجتمع الإنساني إلى حد يجعلنا نسمي المزاج الفكري العام لعصر ما "فلسفة" ذلك العصر–ونعني بالمزاج الفكري نظرته الكونية الشاملة وطرق تفكيره المميزة ومفترضاته المأخوذة بالتسليم،وجو الرأي فيه.فوظيفة التفكير الفلسفي أكثر وعيا بذاتها وأكثر سمة تحليلية ناقدة مما توحي به التسمية.وفي كل عصر يظهر رجال يحاولون أن يعبروا عنه تعبيرا منظما أو أن يحاولوا تعديل بعض مظاهره.وهؤلاء هم الذين يمضون قدما بالتفكير الفلسفي الفعلي ويستحقون لقب "فلاسفة" لأنهم يهتمون بالتحليل الواعي لطرق التفكير وبالصياغة الواعية لنظرية كونية. فكل فيلسوف يسعى ليكوّن نظرة شاملة حقا عن الكون ومصير الإنسان،وهو بهذا يتفحص ويستقرئ جميع مراحل التجربة الإنسانية وكل ضروب النشاط الإنساني. [6]

فكل مجتمع بالغا ما بلغ تقدمه أو تخلفه يقوم على فلسفة بعينها تتجلى مظاهرها في مناشط حياته ويتجلى معها مدى تقدم المجتمع أو تخلفه.

و إذا كانت الفلسفة تتغلغل بهذا الشكل في حياة الناس فإن ذلك يظهرنا على مدى أهميتها ومدى حاجتنا إلى التعرف عليها،وفهمها،ودراستها وتحليلها على أمل أن تتكون لدينا نتيجة لهذه الدراسة،ملكة النقد والتحليل ،نصير بذلك قادرين على أن نحلّل الفكر الذي نعيش فيه ونبين مدى تخلفه أو تقدمه.فالفيلسوف لا يقنع بالحفر والتعمق وراء الافتراضات الأولية لمجرد تسجيلها وكشفها، بل ليقيم عليها بناء أكثر شموخا من العلم.فرجل العلم أو الفكر الذي لا يعي أعماق أسسه التي يبني فوقها لا يدري إلى أي ارتفاع يمكن أن يعلو ببنائه، لأنه بقدر عمق الأساس يكون ارتفاع البناء، وكلما ضرب الفيلسوف إلى أبعد الأعماق استطاع أن يعلو بصرحه أكثر

---

[3] أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1968م، ص 4.

[4] W;Hegel.,the philosophy of right, trans by T,M Knox , Oxford of the clarendon press;London,1942;p 13,

[5] G,W.Hegel,Science of Logic,vol ,1,trans by U,H,Johnson and L.G,Struthers,George Allen, and L,T,D, Unwin,London;1951,p 34.

[6] جون هرمان راندال(الابن) و جوستاس بوخلر:مدخل إلى الفلسفة،ترجمة:ملحم قربان،دار العلم للملايين،بيروت،بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر،نيويورك،1963م،ص 14،15.

فأكثر.فهو وحده الذي في وســـعه أن يعرف أو يقدر إلى أين ينبغي أن يتعمق في الحفر والتحليل،وإلى أين ينبغي أن يواصـــل البناء والتشييد،وبذلك يتيسر للفيلسوف أن ينطلق إلى أبعد مما في مقدور رجل العلم في الاستنتاج وصوغ الأنساق(المذاهب).مادام قد تعقب الفكر الإنساني إلى جذور الماضي،واتصل به نباتا ناميا في الحاضر،فلا بد يرتقب ثماره في المستقبل ويستبق إليها، وبذلك تمكننا الفلسفة من استشراف الأهداف البعيدة للإنسانية وتحفزنا إلى المساهمة في تحقيقها.فكل فيلسوف يسعى ليكوّن نظرة شاملة حقا عن الكون ومصير الإنسان،وهو بهذا يتفحص ويستقرئ جميع مراحل التجربة الإنسانية وكل ضروب النشاط الإنساني.

وسيظل للفلسفة دور وأهمية في حياة الأفراد والمجتمعات،فهي موقف إنساني من العالم،ومن العصر والمجتمع يستوعب كل جوانب حياة الإنسان،وكل مشكلة تصلح أن تكون مادة للفلسفة،ولكن على شريطة أن تدرس في كليتها، وعلى أساس من نسق متكامل في ضوء سائر التجارب والمطالب و الأهداف الإنسانية.

فالإنســـان ليس مخيرا بين أمرين،بين أن تكون له فلســـفة أو لا تكون له فلســـفة،بل الاختيار الحقيقي هو:هل نصـــوغ فلســـفتنا عن وعي وتخطيط، وعلى اتفاق مع مبدأ معقول،أم نصوغها دون وعي وبمحض مصادفة وارتجال. [7]

[7] صلاح قنصوة:فلسفة العلم،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،1978،ص 7،11.

المحور الأول

نظرة عامة عن الفلسفة اليونانية

أولا مفهوم الفلسفة philosophie

ثانيا: مفهوم الفلسفة اليونانية

ثالثا:نشأة الفلسفة اليونانية

رابعا:أطوار الفلسفة اليونانية

أولا:في مفهوم الفلسفة philosophie

لفظ الفلسفة مشتق من اليونانية وأصله (فيلا–صوفيا) ومعناه محبة الحكمة.غير أن السؤال المطروح هو:مما تتكوّن الحكمة؟ هاهنا اختلفت الآراء وتباينت الثقافات.فأي نوع من المعرفة هي؟وما هي العلاقة بينها وبين الأنواع الأخرى، وخصوصا النوع الذي ندعوه "علميا"؟ ومهما تكن حقيقة علاقة الحكمة–أو الفلسفة– بالأنواع الأخرى من المعرفة فهنالك اتفاق عام على نوع المشكلات التي تشكل نقطة الدائرة في اهتمام الحكمة أو الفلسفة.وهي تلك المشكلات التي تثير السؤال عن معنى الحياة الإنسانية وعن مغزى العالم الذي يجد فيه الإنسان نفسه.وما هي الطبيعة العامة للعالم الذي تعيش في كنفه الحياة الإنسانية، بقدر ما لتلك الطبيعة من تأثير في مصير الإنسان؟وما هو ذلك المصير ذاته؟وإلى أي حد يقدر الإنسان بأفعاله وضمن نطاق اختياره أن يؤثر فيه؟وأية ضروب من النشاط عليه أن يمارس؟وما أجدى نوع من الحياة يعيشه الفرد والجماعة؟[8]

ويطلق لفظ الفلسفة كذلك على العلم بحقائق الأشياء، والعمل بما هو أصلح.وقد كانت عند القدماء مشتملة على جميع العلوم،وهي قسمان:نظري وعملي،أما النظري فينقسم إلى العلم الإلهي،وهو العلم الأعلى،والعلم الرياضي وهو العلم الأوسط،والعلم الطبيعي ،وهو العلم الأسفل.أما العملي فينقسم إلى ثلاثة أقسام أيضا.

أولها سياسة الرجل نفسه،ويسمى بعلم الأخلاق.

والثاني سياسة الرجل أهله،ويسمى بتدبير المنزل(الاقتصاد).

والثالث سياسة المدينة والأمة والملك.

والصفات التي تتميز بها الفلسفة هي الشمول،والوحدة،والتعمق في التفسير والتعليل،والبحث عن الأسباب القصوى والمبادئ الأولى.فهذا أفلاطون يعرّف الفلسفة في محاورة أوتيديموس Euthydemus تعريفا عاما بأنها كسب أو تحصيل للمعرفة.زد على هذا أن لأفلاطون عبارات يرد فيها تعريف الفيلسوف بأنه "الشخص الذي غايته الوصول إلى معرفة الأمور الأزلية،أو معرفة حقائق الأشياء".[9] لذلك عرّفها أرسطو بقوله:"إنها العلم بالعلل القصوى،أو علم الموجود بما هو موجود".

---

[8] جون هرمان راندال(الابن) و جوستاس بوخلر:مدخل إلى الفلسفة،ص 18.

[9] أزفلد كولبه:المدخل إلى الفلسفة،ترجمة :أبو العلا عفيفي،الطبعة الثالثة،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1955م،ص 9.

أما الرواقيون فقد عرّفوا الفلسفة بمراعاة قيمة الناحية العملية لنتائج التفكير الفلسفي ،وقيمة النظريات العامة التي تشرح الغاية من حياة الإنسان والأفعال الإنسانية، فالخطيب "شيشرون" مثلا يخاطب الفلسفة بقوله:" أيتها الفلسفة أنت المدبرة لحياتنا:أنت صديق الفضيلة وعدو الرذيلة،ماذا نكون وماذا تكون حياة الإنسان لولاك؟[10]"وعرّفها(ابن سينا) بقوله:إنها الوقوف على حقائق الأشياء كلها على قدر ما يمكن الإنسان أن يقف عليه. والملاحظ أن جل التعريفات التي قدمت للفلسفة كلها تتفق على أمر واحد:وهو أن من أهم مميزات الفلسفة الرغبة الطبيعية في طلب المعرفة لذاتها.

وقد تطلق على مجموع الدراسات المتعلقة بالعقل من جهة ما هو متميز عن موضوعاته،أو من جهة ما هو مقابل للطبيعة.فإذا دلت الفلسفة على دراسة العقل البشري من جهة ما هو متميز عن موضوعاته انقسمت إلى قسمين:

1-قسم يشمل البحث في أصل المعرفة وقيمتها، وفي مبادئ اليقين، وأسباب حدوث الأشياء، وهو ما يحاول كل فيلسوف أن يجيب عن سؤال:ماذا يمكننا أن نعلم؟

2-قسم يشمل البحث في قيمة العمل، وهو الإجابة عن سؤال: ماذا يجب أن نفعل؟[11]

وقد قيل أن الفلسفة هي نظرية القيم(théorie des valeurs) وتشتمل على ثلاثة أقسام، وهي: المنطق، وموضوعه البحث في قيمة الحقيقة، وعلم الجمال، وموضوعه البحث في قيمة الفن، وعلم الأخلاق، وموضوعه البحث في قيمة العمل.وتسمى هذه العلوم الثلاثة بالعلوم المعيارية((Sciences normatives وموضوعها دراسة مظاهر العقل البشري من حيث قدرته على تأليف أحكام القيم.

ومن معاني الفلسفة إطلاقها على الاستعداد الفكري الذي يجعل صاحبه قادرا على النظر إلى الأشياء نظرة متعالية، قادرا على تقبل طوارئ الحدثان بكل ثقة وسكينة واطمئنان، وهي بهذا المعنى مرادفة للحكمة.[12]

والفيلسوف هو الذي يتعاطى الفلسفة، أو العالم بالفلسفة.كما أنه هو العالم الذي يبحث عن الأسباب القصوى والمبادئ الأولى للأشياء،أو المفكر الذي يتفنّن في تفسير الحوادث تفسيرا عقليا،فيكون لفظ الفيلسوف بهذا المعنى صفة تطلق على صاحب الرأي أو المذهب،فنقول:العالم الفيلسوف،أو الشاعر الفيلسوف.

ولا يزال بعض أهل زماننا يطلقون اسم الفيلسوف على من يتنكر للدين،ويحرّر نفسه من أوامره ونواهيه.وهذا خطأ لأنه لا يشترط في الفيلسوف أن يكون ملحدا،أو كافرا،أو جاحدا.[13]

ويمكننا أن نعرض بعض المعالم الرئيسية للفلسفة التي من شأنها أن تميزها عن أفرع المعرفة الأخرى:

أولا :أن الفلسفة تتميز عن أفرع المعرفة الأخرى،بأن هذه الأفرع تتناول قسما جزئيا من العالم لدراستها بينما الفلسفة لا تتخصص على هذا النحو،فهي تتناول الكون ككل،أن الكون واحد والمعرفة المثالية به واحدة،فالفلسفة تتناول الوجود من حيث أنه وجود،إنها تسعى إلى أن تنظر إلى الكون كنسق متآزر واحد للأشياء.ويمكن وصف الفلسفة بأنها علم الأشياء بصفة عامة.

ثانيا:إننا نجد جميع العلوم تفترض وجود الكون كقضية مسلمة، إلا أن الفلسفة تسعى إلى معرفة السبب في أن هناك كونا على الإطلاق، وعلى سبيل المثال هل حقا يوجد واقع أقصى واحد ينتج جميع الأشياء؟ولو كان الأمر هكذا فما هي طبيعة هذا الواقع؟هل هو المادة أو

---

[10] المرجع نفسه ،ص 10.

[11] جميل صليبا:المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، دار الكتاب المصري القاهرة مصر، 1979م، ص 160، 161.

[12] المرجع نفسه،ص 161.

[13] المرجع نفسه،ص 173،174.

العقل أو شيء مختلف عن المادة والعقل؟هل هو الخير أم الشر؟ولو كان خيرا فكيف وجد الشر في العالم؟.فالفلسفة إذن تتناول الكون ككل،وهي لا تأخذ شيئا كقضية مسلمة.

ثالثا:هناك خاصية أخرى مهمة وهي أن الفلسفة هي محاولة الارتفاع مما هو حسي إلى الفكر اللا حسي المحض (المجرد)، فإذا جاز لنا القول إننا نعي وجود عالمين مختلفين:العالم الفيزيائي الخارجي والعالم الذهني الداخلي.فإذا تطلعنا إلى الخارج فإننا نعي العالم الأول وإذا حدقنا في الداخل على عقولنا:فإننا نصبح واعين بالعالم الثاني، إذن هناك عالم فيزيائي خارجي بالنسبة لنا وهناك عالم ذهني باطني.وغالبا ما يقال أن الفلسفة هي موضوع صعب ومعضل وتكمن صعوبتها في الأغلب في محاولة التفكير على نحو غير حسي،وعندما نصل إلى أي شيء في الفلسفة يبدو أنه يتجاوزنا فإننا نجد بصفة عامة أن جذر المشكلة يكمن في أننا نحاول أن نفكر في الأشياء غير الحسية بطريقة حسية.[14]

ثانيا:في مفهوم الفلسفة اليونانية

إن أصل الفلسفة اليونانية ليس قائما في الهند أو في مصر أو أي قطر خارج اليونان.لقد كان اليونان أنفسهم المسؤولين عنها.يرى البعض أن المحاولات اليونانية الأولى كانت إلى حد كبير محاولات مفكر مبتدئ،فكانت فجة بلا تشكيل أو ملامح وسيكون من الخطأ افتراض أنهم لم يقوموا بهذه المحاولات البسيطة لأنفسهم.ومن هذه البدايات الفجة نستطيع أن نتتبع التطور الكل بالتفصيل حتى ذروته عند أرسطو وما بعد أرسطو، ومن ثمة ليست هناك حاجة إلى افتراض وجود تأثير خارجي في أي موضع.

تبدأ الفلسفة اليونانية في القرن السادس قبل الميلاد.وهي تبدأ عندما حاول الناس لأول مرة أن يدلوا برد علمي عن سؤال:"ما هو تفسير العالم؟".وقبل هذه الحقبة كانت الأساطير والآراء عن نشأة الكون و لاهوتيات الشعراء.لكنها لا تحتوي على أي محاولة لطرح تفسير طبيعي للأشياء،فهي تمت إلى مجالات الشعر والدين لا الفلسفة برأي روادها ومؤرخيها.

و عندما نتحدث عن فلسفة اليونان لا يجب أن نفترض أننا نشير فحسب إلى الأرض الأم التي نسميها الآن اليونان،ففي العصور القديمة للتاريخ هاجر يونانيو الأرض الأم إلى جزر بحر إيجة وصقلية، وجنوب ايطاليا، وساحل آسيا الصغرى، وفي أماكن أخرى. و أسسوا مستعمرات مزدهرة.وتشمل فلسفة اليونان كل هذه الأماكن ،ولهذا يجب البحث عنها عرقيا أكثر من البحث عنها أرضيا أو جغرافيا،فهي فلسفة قوم للعرق اليوناني أينما كان مستواهم.

في الحقيقة، أن أول فترة من الفلسفة اليونانية تتناول على نحو مطلق أفكار أولئك اليونانيين المستعمرين.ولم يحدث إلا مع سقراط أن بدأت الفلسفة تنتقل إلى الأرض الأم.

وتنقسم الفلسفة اليونانية على نحو طبيعي إلى ثلاث فترات :يمكن وصف الفترة الأولى بشكل غير دقيق على أنها فترة الفلسفة السابقة على سقراط وان كانت لا تشمل السفسطائيين الذين كانوا معاصرين وسابقين في آن واحد على سقراط.وهذه الفترة هي ظهور الفلسفة اليونانية.ثانيا :الفترة من السفسطائيين إلى أرسطو التي تشمل سقراط وأفلاطون وهي فترة نضج الفلسفة اليونانية والسمت الحقيقي والذروة القصوى لها هي دون شك مذهب أرسطو.وأخيرا فترة الفلسفة ما بعد أرسطو التي تشكل سقوط و انهيار الفكر القومي.[15]

---

[14] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 14،20.

[15] المرجع نفسه،ص23،24..

وقد رأى هيجل أن الفلسفة تنقسم إلى عصور ثلاثة،وأن العصر الأول كان عصر الوحدة،ثم جاء العصر الثاني فكان ثورة على هذه الوحدة،وجاء العصر الأخير فكان محاولة للتوفيق بين الاثنين.وقد قسم هيجل عصور الفلسفة اليونانية على هذا الأساس،فجعل هذه العصور ثلاثة:العصر الأول ويبتدئ من طاليس كما هو متفق عليه بين الجميع،وينتهي هذا العصر الأول بأرسطو،ثم يبدأ العصر الثاني ابتداء من المدارس التي تلت أرسطو،وهي الرواقية والأبيقورية والشكاك سواء منهم القدماء والمحدثون،والعصر الثالث هو عصر الأفلاطونية المحدثة.والأساس في هذا التقسيم هو منهج هيجل الذي تصور على أساسه التطور الروحي للإنسانية،فإنه يقول إن الفكرة المطلقة قد وصلت إلى أعلى درجة من درجات تحققها عند أرسطو.وبعد أرسطو بدأت الوحدة تنحل إلى شيئين متعارضين:إلى موضوع، ونقيض موضوع.فمن ناحية نرى المذاهب التوكيدية وهي الرواقية والأبيقورية،ومن ناحية أخرى يضاد هذه المذاهب مذهب الشكاك الذي هو نقيض لكل توكيد.وتبعا لسير التاريخ من موضوع إلى نقيض موضوع ،ثم إلى مركب موضوع،كان لابد من انفصال الصورة الكلية إلى نقيض موضوع ،وموضوع،أن ثمت وحدة مركب موضوع بين الموضوع ونقيض الموضوع،وهنا سيكون هذا المركب سلبا للسلب أي إيجابا.فأصبحت الفكرة المطلقة وحدة من جديد،وهذا قد تم على أيدي الأفلاطونية المحدثة.

ولهذا لا بد أن نقسّم التاريخ الفلسفي لليونان على هذا الأساس.ومع هذا نستطيع أن نجعل ثمت تقاسيم في داخل العصر الأول ،فنقسمه حينئذ إلى قسمين أو ثلاثة أقسام.وهنا ينظر هيجل نظرة جديدة إلى السوفسطائية فيجعل ابتداء القسم الثاني من العصر الأول بالسوفسطائية، بدلا مما كان يفعله المؤرخون السابقون الذين كانوا ينظرون إلى السوفسطائية على أنها حركة انتهاء،لا حركة ابتداء.وعلى هذا يبدأ القسم الثاني من العصر الأول بالسوفسطائية، ويدخل في هذا القسم سقراط و أنصاف السقراطيين والمدارس السقراطية الصغيرة المختلفة.أما القسم الثالث فسيكوّن حينئذ القسم الخاص بأفلاطون و أرسطو.[16]

ثالثا:نشأة الفلسفة اليونانية

يرى الدكتور "عبد الرحمن بدوي" أن مشكلة نشأة الفلسفة اليونانية من المشاكل الخطيرة جدا في البحث التاريخي في الفلسفة اليونانية، وهي مشكلة تتضمن بذورها مشكلتين:المشكلة الأولى:هل نشأت الفلسفة اليونانية متأثرة بأفكار أجنبية كانت الدافع الذي دفع إلى إيجاد الفلسفة اليونانية؟والمشكلة الثانية هي:إذا كانت الفلسفة اليونانية قد نشأت بطبيعتها من تربة يونانية بحت،فمن أي نوع من أنواع التربة نشأت هذه الفلسفة؟

أما المشكلة الأولى فبيّن فيها أن الفلسفة اليونانية لم تنشأ متأثرة بأفكار شرقية،وإنما نشأت نشأة طبيعية من خصائص الشعب اليوناني نفسه،وفي الظروف الحضارية التي وجدت في القرن السادس قبل الميلاد في بلاد اليونان.

أما فيما يتعلق بالمشكلة الثانية، فنجد أنها قد أخذت وضعا جديدا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي السنوات الأولى من القرن العشرين وهذا الوضع الجديد هو الذي يريد أن يرجع نشأة الفلسفة اليونانية إلى التصوف.و أول من قال بهذا الرأي هو "فريدريك نيتشه" في كتابه" الفلسفة في العصر التراجيدي من عصور اليونان".

يرى نيتشه أن الفلسفة اليونانية قد نشأت عن مصدر صوفي،لان الروح اليونانية كانت من قبل روحا تشبيهية،فكانت تصور الأشياء الخارجية على غرار الإنسان دائما.لكنها تحررت من هذه النظرة على يد الفلاسفة،فأصبحت في تفكيرها موضوعية،وفنيت في الموضوعات

[16] عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، 1984، ص 174.

الخارجية.فبينما كانت تجعل الأفكار كأنها أشخاص،وتجعل الآلهة أشخاصا أيضا،وتجعل الطبيعة حيّة كالإنسان،جاء طاليس فجعل الأشياء وحدة،وقال أن أصل الأشياء الماء،فارتفع بهذه الأشياء المجردة إلى المقام الأول وجعلها الأساس في تفسير الطبيعة.وبينما كانت النظرة القديمة نظرة تفرقة وفصل،أي تنظر إلى الأشياء على أنها مختلفة،جاء طاليس فجعل الأشياء وحدة،وقال أن الكل هو الماء.فهذه النظرة الواحدة إلى الأشياء كلها.وهذه النظرة المبتدئة من الذات نحو الموضوع مباشرة بفناء الذات في الموضوع،لم يصل إليها طاليس والفلاسفة الطبيعيون عن طريق المشاهدة والملاحظة،بل عن طريق نظرة وجدانية في الوجود،أو بعبارة أخرى نظرة صوفية.فكأن نيتشه يريد أن يقول إن أصل النظرة الفلسفية ومصدرها عند اليونان نظرة صوفية.

والخلاصة التي نستخلصها من كل ما ذكرناه،هي أن المصادر التي نشأت عنها الفلسفة اليونانية مصادر متعددة من ناحية،ومعقدة من ناحية أخرى.فهي متعددة سواء نظرنا إلى نشأة الفلسفة اليونانية على أنها نشأة محلية خالصة، ،أو على أساس أن هذه النشأة قد عملت فيها أيضا أفكار أجنبية.فإذا نظرنا إليها على أنها نشأت عن مصادر محلية فحسب،فإنا نرى أن نشأة هذه الفلسفة لم تكن عن مصدر واحد كما يذهب إلى ذلك بعض المؤرخين الذين يرجعون المصدر الواحد إلى التصوف.وإنما كان هناك إلى جانب التصوف مصدر هام ،لا يقل أهمية عن المصدر الأول ،هو التفكير الأخلاقي،لأن الأفكار الرئيسية في الأخلاق قد نقلها الفلاسفة الطبيعيون من ميدان الحياة الإنسانية إلى ميدان الحياة الخارجية فصورا الطبيعة الخارجية على أساس الطبيعة الإنسانية.[17]

وأما عن مصادر معرفتنا بالفلسفة اليونانية،وخاصة الفلسفة السابقة على سقراط،فإننا إذا أردنا أن نعرف تفكير أفلاطون وأرسطو عن أية مسألة فليس أمامنا إلا الرجوع إلى مؤلفاتهما.غير أن أعمال الفلاسفة السابقين لم تصل إلينا إلا على شكل شذرات كما أن عددا كبيرا من هؤلاء الفلاسفة لم يدونوا آراءهم كتابة.ومعرفتنا بمذهبهم هو نتيجة جهد دؤوب قام به الدارسون للمادة المتاحة.ولحسن الحظ-كما يقول "وولتر ستيس" في كتابه:تاريخ الفلسفة اليونانية"-كانت هذه المادة ثرية ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات:أولا:شذرات الكتابات الأصلية للفلاسفة أنفسهم وهذه كانت في حالات عديدة طويلة وهامة وفي حالات أخرى كانت نادرة.ثانيا:هناك إشارات عند أفلاطون وأرسطو ومن أكثرها أهمية ما نجده في المقالة الأولى من كتاب"الميتافيزيقا" لأرسطو الذي هو تاريخ للفلسفة حتى عصره وهو أول محاولة مسجلة لكتابة تاريخ للفلسفة.ثالثا:هناك مادة هائلة من المصادر بعضها قيّم وبعضها عديم القيمة واردة في مؤلفات المفكرين المتأخرين ولكن في العصر القديم.[18]

رابعا:أطوار الفلسفة اليونانية

إذا كان التفكير الفلسفي قد نشأ في أيونيا فإنه قد نما وترعرع في صقلية وجنوب إيطاليا.لكنه لم يرق إلى مرتبة الفلسفة الحقيقية إلا في أثينا حيث بلغ غاية مداه في فترة قصيرة نسبيا ،ولكنها على قصرها كانت وضاءة فذة في تاريخ اليونان،فقد أنتج اليونان في هذه الفترة القصيرة أعمالا أدبية وعقلية وفنية رائعة.وقد كان القرن الرابع قبل الميلاد هو العصر الذهبي لهذه الفلسفة،فهو العصر الذي وصلت فيه الأمة اليونانية إلى أقصى ما كان يمكن أن تصل إليه من مجد سياسي وعلمي وأدبي.

ولم تلبث أثينا التي كانت عاصمة للثقافة والفنون والفلسفة والآداب في ذلك العصر أن أصابتها عوارض الضعف والهزال، فرانت عليها غاشية الجمود والتحجر وأصابها ما يصيب الشعوب كلما خارت العزائم وضعفت الهمم.

---

[17] عبد الرحمن بدوي :موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، ص 188، 183.

[18] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 24.

مرت الفلسفة اليونانية بثلاثة أطوار:

1)طور النشوء والنمو

2)طور الينوع والنضج

")طور الجمود والانحطاط.

ففي الطور الأول نشأت الفلسفة اليونانية ونمت وترعرعت،وكان ذلك قبل سقراط،ولذلك تسمى هذه الفلسفة"فلسفة ما قبل سقراط".

وفي الطور الثاني بلغت هذه الفلسفة أقصى ذروتها وغاية مداها،ويمتد هذا الطور من سقراط حتى أرسطو.

وفي الطور الثالث أخذت هذه الفلسفة في التدهور والذبول،ويمتد هذا الطور حتى بدء القرون الوسطى.[19]

[19] محمد عبد الرحمن مرحبا:من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،منشورات عويدات بيروت باريس،ص 84،85.

المحور الثاني المدرسة الأيونية(الملطية)

تمهيد

أولا:طاليس

ثانيا:أنكسماندريس

ثالثا:انكسيمانس

خلاصة

تمهيد: ينتمي للمدرسة الأيونية(الملطية) فلاسفة ثلاثة هم طاليس و انكسماندريس و انكسمانس،وقد تتلمذ اللاحق منهم على سابقه واهتموا جميعا بالبحث في طبيعة الكون أي بالكوزمولوجيا.

يجمعهم اتجاه واحد في الفلسفة هو الاتجاه المادي بمعنى أنهم تصوروا جميعا أن الحقيقة العلمية والفلسفية للوجود لا بد أن تكون مادة. وكانت هذه المادة الأولية (الطبيعة physique) تفيد عندهم أصل الوجود ومبدأ نشأته وحركته.

أولا: طاليس Thales

يعد طاليس أول الفلاسفة كما يشير إلى ذلك أرسطو وتلميذه ثيوفراطس، فقد ولد حوالي 643ق م .ومات حوالي 550 ق م .كما أنه أول فلاسفة اليونان، لأنه قال بحقائق ثلاث:فهو أولا قد تحدث عن أصل الأشياء أو عن الأصل الذي تصدر عنه الأشياء.وثانيا كان كلام طاليس عن هذا الأصل خاليا من الأساطير.[20]فقد حاول أن يفسر بعض ما يدور في هذا الكون، وكان يرى أن كل حدث من الأحداث يجب أن ينسب إلى أسباب طبيعية دون الحاجة إلى تدخل أي إله من الآلهة.كذلك كان يرى أن هذا الكون له قوانين خاصة تتحكم في كل أحداثه وكل ظواهره، ولكن هذه القوانين لم يقيض للإنسان أن يعرفها بعد. [21]وثالثا قال إن كل شيء واحد.

فالقول الأول يجعل طاليس متفقا مع أصحاب الكونيات،ولا يخرجه عن دائرة النظريات التي قالت بوجود أصل للأشياء قبل الفلسفة.ولكن القول الثاني يخرج طاليس من دائرة هؤلاء ويجعله رجل علم،لأنه يبحث في أصل الأشياء بحثا يقوم على الأسطورة،وإنما هو يبحث بحثا يقوم على العلم فحسب.إلا أنه لو اكتفى بهذا لكان عالما فحسب،ولكنه بقوله إن كل شيء واحد قد أصبح فيلسوفا، لأنه ارتفع فوق الأشياء الحسية جميعها وقال بأن الكل واحد.[22]

تتألف فلسفته من قضيتين:أولا:أن أصل الأشياء جميعا هو الماء وكل شيء يعود إلى الماء. وثانيا:أن الأرض قرص مسطح مستو يطفو على الماء.فقد خرج من الماء بطريقة طبيعية دون الحاجة إلى تدخل الإله"مردوخ"،وشبه ذلك بخروج أرض الدلتا في مصر من مياه النيل عندما يبطئ تيار مياه النهر عند المصب،ويترسب ما به من طمي ومواد عالقة.[23] فالقضية الأولى تعني أن الماء هو النوع الأول الواحد للوجود

---

[20]عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ص 276. انظر أيضا:أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان، ص 45.

[21]أحمد مدحت إسلام: الكون في فكر الإنسان قديما وحديثا، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1422هـ، 2001م، ص 32.

[22]عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ص 276.

[23]وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 26،وانظر أيضا: أحمد مدحت إسلام: الكون في فكر الإنسان قديما وحديثا،ص 32.

وأن كل شيء آخر في الكون ليس إلا مجرد تغير للماء.ولابد أن ينشأ سؤالان على نحو طبيعي:لماذا اختار طاليس الماء مبدأ أول؟ وبأية عملية يمكن للماء أن يتغير إلى الأشياء الأخرى،كيف تشكل الكون الماء؟وقد حاول أرسطو أن يفسر هذه الأسباب فقال:لعل السبب الذي دفع طاليس إلى هذا القول هو أنه رأى أن الكائنات الحية تتغذى من الأشياء الرطبة، وان الحرارة الفعلية نفسها تتولد منها وأن الحياة الحيوانية مستمدة من الماء...ومن كون بذور الأشياء جميعا ذات طبيعة رطبة وأن الماء مبدأ أول لكل الأشياء الرطبة قد يكون هذا هو التفسير الحق.فالماء إذا أصل الحياة.[24]

ولهذا يعتبر طاليس أول فيلسوف قد ترك لنا نماذج على الاتجاه الجديد للعلم عند الإغريق،من حيث هو بحث في الأشياء ذاتها من أجل الوصول إلى الحقيقة بشكل منفصل تماما عن تطبيقاتها العملية على الموضوعات المختلفة،والتي من أجلها كان البحث العلمي منذ البداية.[25]

ويقول بعض المؤرخين عن طاليس من ناحية الفلسفة الإلهية أنه كان يقول بالإله الواحد،وأن هذا الإله مختلف عن الإنسان،وأن صفات الله ليست تلك الصفات التي ينسبها الشعراء إلى الآلهة.فإن هذه الصفات صفات إنسانية خالصة.ولكن –برأي عبد الرحمن بدوي– أن ما ينسب إلى طاليس في هذا الصدد مشكوك فيه كل الشك.فلم يقل أحد من قبل بما قال به "إكسينوفان" من أن الآلهة لا تتصف بصفات البشر أو أن الآلهة فوقها إله واحد.[26]

ثانيا:انكسماندريس Anaximander

انتقلت رئاسة المدرسة الأيونية'الملطية) بعد طاليس إلى تلميذه وصاحبه اكسماندريس،وربما ولد حوالي 611 قبل الميلاد،وتوفي حوالي 547قبل الميلاد ،ولقد كان من سكان مدينة مليتس أو ملطيا.يقال أنه أول يوناني يكتب بحثا فلسفيا ولسوء الحظ قد فقد.ألف انكسماندريس كتابا في الطبيعة peri physeosبقيت منه شذرة واحدة.

رأينا كيف أن طاليس قد أرجع أصل الأشياء أو المبدأ الذي صدرت عنه إلى شيء معين بالكيف هو الماء.إلا أنه قد بدا أن هذا التفكير غير مقنع لأنه من الصعب أن نرجع جميع الأشياء إلى الماء.ورغم انه شغل بالبحث في الطبيعة لكنه لم يوحد بين طبيعة الكون وبين أي عنصر محدد كالماء أو الهواء أو النار وإنما قال بمبدأ "الأبيرون" Apeiron أي اللانهائي(اللامحدود).وقد اختلفت تفسيرات المؤرخين لهذا "الأبيرون"(اللامحدود) من حيث طبيعته وماهيته.بمعنى هل هذا اللامحدود معناه اللانهائي بالمعنى الذي أصبح معروفا لدينا اليوم عن اللانهائي،أي بحسبانه شيئا مجردا عن المادة أو شيئا روحيا؟ الواقع أن الرأي الراجح الذي يكاد يكون أصح الآراء في هذا الصدد هو القائل بأن اللامحدود أو الأبيرون هو المادة اللامحدودة،فهو إذا شيء مادي أو هو المادة نفسها متصفة بصفات اللانهائية أو اللامحدودية.أو بالأحرى كما يقول "وولتر ستيس" مادة بلا تشكيل وبلا تحديد وبلا ملامح بصفة عامة.المادة الأولى عند انكسماندريس مجرد مادة لم تتخصص بعد لتصبح أنواعا مختلفة للمادة،ولهذا فإن هذه المادة بلا صفات وهي هلامية.[27]

يتساءل عبد الرحمن بدوي بقوله:لكن بأي معنى يجب علينا أن نفهم هذه اللامحدودية:أهذه اللامحدودية في الكيف ،أو في الكم ،أو فيهما معا؟

---

[24]المرجع نفسه،ص 26. أنظر أيضا:عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ص 276.

[25]ج،ج ،كراوثر:قصة العلم ،ترجمة :يمنى طريف الخولي،و بدوي عبد الفتاح،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة،1999م،ص 32.

[26]عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ص 277.

[27]وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 27،28.وانظر أيضا: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ص 277.

ذهب "بيرنت" Burnetإلى أن "الأبيرون" لانهائي الكم،لأنه يحوي جميع الأشياء احتواء مكانيا كما تدل لفظةPeriechein اليونانية ولكنه ليس محدد الكيف لأنه قد تحدد من جهة الكيف عند "انكسيمانس" حين قال بالهواء،ووصفه بأنه لانهائي. [28] أما غير "بيرنت" من الباحثين فيرون انه ليس محددا من جهة الكيف لأنه يحوي جميع الكيفيات ولكن لا كيف له ولا صفة معينة فهو أقرب إلى مبدأ شديد الشبه بالهيولى الأرسطية فهي لا نهائية و لا محدودة و لا متعينة.

ولقد روى "ثيوفراطوس" ما ذكره انكسماندريس عن هذا الأبيرون فقال:"قال انكسماندريس الملطي...مواطن طاليس وصاحبه،أن العلة المادية والعنصر الأول للأشياء هو اللانهائي.وهو أول من أطلق هذا الاسم على العلة المادية وقال بأنها ليست ماء ولا أي عنصر من العناصر الأخرى بل جوهرا مختلفا عنها جميعا لا نهائيا نشأت عنه السموات والأكوان. ووصفه بأنه أبدي سرمدي يحوي كل الأكوان،ومنه تنشأ الأشياء وإليه تعود مرة أخرى على نحو ما يجب أن يكون،لأنها تعوض وتصلح ما يصدر عن بعضها تجاه البعض الآخر من ظلم تبعا لما يقضي به الزمان ." [29]

وهنا تبدو تفرقة انكسماندريس بين الأبيرون والعناصر المادية الأخرى وهو ما يكشف لأول مرة عما تتميز به فكرة الطبيعة من خصائص تميزها عن سائر العناصر المحسوسة.ويبدو أن هذا الأبيرون أشبه ما يكون بالسد يم الأول الذي نشأ عنه الكون بالانفصال. وهو ما دفع ببعض المؤرخين إلى القول بأن فكر انكسماندريس كان أرقى من فكر طاليس لأنه أقرب إلى التفسير الصحيح،هذا من ناحية.ومن ناحية أخرى كان انكسماندريس عالما طبيعيا بالمعنى الحقيقي،لأنه حاول أن يرجع الأشياء بطريقة طبيعية خالصة إلى أصولها،وأن يفسر نشأتها تفسيرا طبيعيا خالصا.ثن إن انكسماندريس قال لأول مرة بعوالم لا نهاية لها توجد وتفنى،وهذا القول كان المقدمة لقول أرسطو فيما بعد إن حركة العالم أزلية أبدية. [30]

ثالثا:نكسيمانس

كان انكسيمانس من سكان مدينة مليتس(ملطية).فقد ولد حوالي عام 524 ق.م ومات حوالي 558 ق.م.وهو آخر ممثلي الفلسفة الملطية.وقد دون فلسفته في كتاب من النثر الأيوني بقيت منه شذرة واحدة رواها "ثيوفراطوس ومؤداها:"أن الجوهر الأول واحد لا نهائي ولكنه محدد الكيف.إنه الهواء،منه نشأت الأشياء الموجودة والتي كانت وسوف تكون،ومنه أيضا نشأت الآلهة وكل ما هو إلهي وتفرعت باقي الأشياء".ولقد اختار الهواء لأنه لا يحتاج لحامل كالماء، كما أنه أكثر قدرة على الانتشار والنفاذ في الأشياء.غير أن أهم هذه الأسباب نزعته الحيوية التي تعتبر الكون كائنا حيا يتنفس بالهواء يقول:"لأن النفس فينا هو مبدأ كياننا ووحدتنا كذلك الهواء يحوي العالم كله".واضح أن انكسيمانس قد وحّد بين الهواء والنفس Pneume و رأى أن كل العناصر الأخرى و ما يتفرع عنها من كيفيات محسوسة يمكن تفسيرها بالاستناد إلى هذا المبدأ. [31]

---

[28] Burnet; j: Early Greek philosophy; London, 1949, p, 58,. نقلا عن: أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان،ص 47،48،..

[29] Burnet; j: Early Greek philosophy; London, 1949, p, 153،152,

[30] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ص 279.

[31] Robin, La Pensée Grecque et Les Origines de L'Esprit Scientifique ; Albin Michel, 1948, p 56 /.51 نقلا عن : أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان،ص

لقد اعتبر طاليس أن المادة هي الماء واعتبرها انكسيمانس الهواء وهذا الهواء يمتد دون حدود عبر المكان.والهواء في حالة حركة دائمة وله قوة الحركة الكامنة فيه وهذه الحركة تتسبب في تطور الكون من الهواء.وبالنسبة للعملية العاملة لهذا التطور حدد انكسيمانس عمليتين متعاكستين هما:(1) التخلخل و (2) التكاثف.فالتكاثف يحدث البرودة والتخلخل يولد الحرارة.إن الهواء بالتخلخل يصبح نارا والنار المتولدة للأعلى على الهواء تصبح النجوم وبالعملية العكسية الخاصة بالتكاثف يصبح الهواء أولا سحبا وبالدرجات الأشد من التكثيف يصبح ماء وترابا وصخورا على التعاقب،والعالم يدور في مجرى الزمن من جديد ويستحيل إلى هواء أولي.[32]

ويشير "عبد الرحمن بدوي" إلى نقطة مهمة وهي أن المؤرخين اختلفوا في ماهية الهواء،أهو يختلف عن الهواء المعروف الذي هو أحد العناصر الأربعة،أم هو كهذا الهواء سواء بسواء.ويرجح "بدوي" بالاستناد إلى رأي المؤرخين الرأي القائل بأن هذا العنصر هو الهواء بعينه كما نتصوره،خصوصا إذا لاحظنا أن انكسيمانس كان يعد الهواء الشيء الذي يحيط بالكون،ومعنى هذا أن الهواء شيء لانهائي،وهذا الهواء يتحرك حركة دائمة.

وعن طبيعة هذه الحركة اختلف المؤرخون والفلاسفة،حيث ذهب بعضهم إلى أن الحركة التي يتحرك بها الهواء هي الحركة الدائرية،والبعض الآخر رجّح أن تكون الحركة هي حركة الدوّامة.كما أن بعض الكتاب الأقدمين ينسبون لأنكسيمانس أنه جعل من هذا الهواء إلها.لكن المرجح أن أنكسيمانس كان يعدّ المادة حية،وكان يحسب – تبعا لهذا– أن مادته هي أيضا تتصف بالحياة،وأنها لما كانت تسود كل الكائنات فهي كالآلهة سواء بسواء.

ولعل مبرر انكسيمانس في قوله بأن الهواء هو الأصل،فهو أنه قد رأى أن مصدر الحياة في الإنسان هو الهواء،لأنه بمجرد انتهاء التنفس تنتهي الحياة فمصدر الحياة في الإنسان إذن هو التنفس أو بعبارة أخرى هو الهواء .فنقل انكسيمانس هذا المصدر من الإنسان إلى الطبيعة الخارجية كلها.أول شيء ينشأ من الهواء هو الأرض،وقد تصور الأرض على شكل قرص المنضدة،وعلى هذا النحو هي معلقة في الهواء،وكذلك الحال في الشمس،فقد استطاع أن يكتشف أن القمر يستمد نوره من الشمس.وهذا ما دفع بالبعض إلى القول بأن تفكير انكسيمانس كان متقدما نوعا ما على سابقيه نحو أشكال التفسير العلمي الخالص للأشياء.[33] لأنه توسع في مفهوم المادة الأولى البسيطة لتفسير الظواهر الفيزيائية، وذلك عندما استخدم فكرة التحولات التي تحدث للمادة ،فالكائنات في النهاية هي نتاج لتحولات تحدث على الأرض.[34]

خلاصة

بقي أن نشير إلى "أن طاليس وأنكسيمانس يجب أن يفسرا على أنهما متشابهان.فالماء والهواء يخضعان لتغيرات من حيث الكثافة والتركيب،ولكن القول إن أنكسيماندريس يجب أن يشغل مكانا بين الماء والهواء (بين طاليس وأنكسيمانس) –وبهذه الطريقة يظهر أنكسيمانس كأنه خطوة متخلفة إلى الوراء قياسا بأنكسيماندريس–إنما قول غير معقول تماما.وفي الواقع،فإن الحقيقة التي تفيد بأن أنكسيمانس كان يعدّ رأس المدرسة هي حقيقة تقف ضد ذلك القول."[35]

---

[32] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 30.

[33] عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ص 279، 280.

[34] ج، ج ،كراوثر:قصة العلم،ص 35.

[35] هانز جيورج غدامير:بداية الفلسفة ،ترجمة:علي حاكم صالح،د .حسن ناظم،الطبعة الأولى،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت– لبنان،2002م،ص 131.

ويضيف الفيلسوف الألماني المعاصر "هانز جيورج غدامير "في كتابه"بداية الفلسفة" قائلا: "ةبالمحصلة يمكن تلخيص النتيجة الآتية:من الواضح أن هناك شيئا مشتركا من حيث التوجه بين الأسماء الثلاثة التي وصلت إلينا بوصفها أسماء أعضاء المدرسة الملطية.فكل واحد منهم واجه المشكلة نفسها ،الماء في حالة طاليس،ودورية الكون في حالة أنكسيماندريس،والهواء في حالة أنكسيمانس...والشيء الجديد الذي يتعلق بما أظهره هؤلاء المفكرون للعيان هو الآتي:إنه أمر ذو علاقة بمشكلة الطبيعة بشيء يظل ثابتا عبر الصيرورة وفي تعددية المظاهر.إن ما يضفي الوحدة على هؤلاء المفكرين وما يظهرهم كمرحلة أولى في الفكر الإغريقي هو رغبتهم في النأي بأنفسهم عن الحكايات الأسطورية، وفي التعبير عن التفكير بواقع قابل للملاحظة يدعم وينظم نفسه بنفسه."[36] أن تصور المدرسة الأيونية للأشياء ظل حينا من الدهر مسيطرا على الفكر الفلسفي والعلمي واعتبر نقطة انطلاق التفسير العلمي للكون والإنسان ،فقد كان الكون عندهم يسمى بالكون العضوي أو الحيواني،ذلك أن الكون كان يشبه بالكائن الحي المكون من أجزاء (أو أعضاء) تتحرك وتتوافق باستمرار بحيث تجعل الجسم الكلي يستفيد من هذه الحركات أو التفاعلات الجزئية،وهذا ما يوحي بأن نظريات هؤلاء الفلاسفة كانت تتسم أكثر بالطابع العلمي. [37]

[36]المرجع نفسه،ص134،135.

[37]جمال ميموني و نضال قسوم :قصة الكون من التصورات البدائية إلى الانفجار الأعظم، الطبعة الثانية ،دار المعرفة الجزائر،2002،ص 33،34.

المحور الثالث المدرسة الفيثاغورية

تمهيد

أولا:حياة فيثاغورس

ثانيا:المدرسة الفيثاغورية

ثالثا:آراء الفيثاغوريين الفلسفية

-1نظرية العدد

2-نظرية الكون.

خلاصة

تمهيد: لم تكن المدرسة الفيثاغورية مدرسة فلسفية فحسب،بل كانت إلى جانب هذا،أو قبل هذا مدرسة دينية أخلاقية،على نظام الطرق الصوفية.فإلى جانب المبادئ الفلسفية التي قالت بها هذه المدرسة،توجد مبادئ صوفية ومذاهب متصلة بالزهد والعبادة ،ولهذا يجب على الدارسين التفرقة بين الآراء الدينية و الأخلاقية والآراء الفلسفية حتى لا يقع في خلط أو تناقض في فهم مذاهب الفيثاغوريين .فمن هو الفيلسوف فيثاغورس؟وما هي آراؤه الفلسفية؟وما هي ملامح المدرسة الفيثاغورية؟

أولا:حياة فيثاغورس Pythagoras

لايعرف الكثير عن حياة فيثاغورس، وجل الأخبار الواردة عنه مليئة بنغمة من الخيال المبالغ فيه وتمتلئ بقصص المعجزات والأعاجيب التي قام بها.وعلى أية حال لم تعرف عنه سوى وقائع محددة قليلة.[38]

ويروى أنه ولد بمدينة ساموس على ساحل آسيا الصغرى حوالي عام 570ق.م،وعاش مائة عام ويقال ثمانين عاما،وكان في شبابه محبا للحكمة والمعرفة فترك بلاده وجاب بلاد البرابرة بحثا عن أسرار الآلهة.ويقال أنه تتلمذ على يد أنكسيمادريس الذي نصحه بطلب العلم في مصر.ولقد وصل في منتصف عمره إلى جنوب ايطاليا واستقر في كروتونا وهناك أسس الجمعية الفيثاغورية وعاش لعدة سنوات على رأسها.ولا تعرف على وجه اليقين حياته المتأخرة وتاريخ وفاته.

وقد حرص فيثاغورس على أن يكون تلاميذه من الطبقات الاجتماعية العليا .وألف منهم فرقة دينية سرية يعيش أفرادها حياة بسيطة.ويكرسون وقتهم للبحث و التأمل.وما لبث تنظيمه السري أن اكتسب قوة سياسية،لفت إليه الأنظار وأثارت معارضة شعبية واسعة ضد هذه النحلة الغريبة.[39]

لقد اعتقد فيثاغورس أنه كائن أسمى من البشر إذ كان يقول هناك بشر وآلهة وكائنات أخرى وسط بينهما مثل فيثاغورس.وكان يشبه الناس بجمهور الألعاب الرياضية بعضهم يحضر ليلعب وبعضهم يحضر للتجارة والربح أما البعض الآخر فيكتفون بالنظر فقط وهؤلاء هم الحكماء.

---

[38] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 32.

[39] ج،ج ،كراوثر:قصة العلم،ص 35،36. راجع أيضا: وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 32.وأيضا: أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان،ص68.

أما عن أتباعه الفيثاغوريين فلا نعرف عنهم الكثير خاصة المعاصرين منهم ولعل السبب في ذلك هو تلك النزعة السرية التي كانوا يحيطون أنفسهم بها فلم يكن يسمح لأحد بأن ينسب لنفسه نظرية معينة أو يذكر اسم فيثاغورس فكانوا يشيرون إليه بقولهم المعلم أو هو قال.[40] فقد اهتم الفيثاغوريون بتنظيم وترتيب الحجج المنطقية في الهندسة،كتلك التي تنسب لطاليس،بحيث تكتسب شكلها المنطقي الصحيح الذي يبدأ من المقدمات،وينتهي بالنتائج التي تلزم عنها،سواء كانت هذه الحجج الهندسية مفردة أو كسلسلة مترابطة.لذلك كانت النظرة إلى الفيثاغوريين باعتبارهم الذين "حوّلوا دراسة الهندسة إلى نوع من التعليم الحر"بتطوير عملية البرهنة الهندسية ذاتها على نحو منفصل مستقل عن تطبيقاتها.ولذلك يجب أن يتحمل الفيثاغوريون نصيبهم من اللوم لأنهم أول من فصلوا العلم بمعناه النظري الخالص عن تطبيقاته،مما تسبب في تقهقر العلم لعدة قرون.[41]

ثانيا:المدرسة الفيثاغورية

تعد المدرسة الفيثاغورية إلى جانب كونها مدرسة فلسفية،نحلة دينية وخلقية،إنها جمعية المصلحين الدينيين.فقد كانوا على صلة وثيقة بالنحلة الأورفية و أخذوا منها الإيمان بتناسخ الأرواح بما في ذلك تناسخ أرواح الناس إلى الحيوانات .ولقد علموا أيضا مذهب"عجلة الأشياء" وضرورة "التحرر" منها وبهذا يمكن أن يهرب الإنسان من عجلة الحياة المتناسخة.وهكذا شاركوا النحلة الأورفية في الإيمان بمبدأ التناسخ.ولقد آمنت النحلة الاورفية "بالتحرر" من عجلة الحياة وهذا يتم بالاحتفالات والطقوس الدينية.ولقد كان لدى الفيثاغوريين طقوس مشابهة لكنهم أضافوا إليها الإيمان والتربية العقلية وتعليم العلم والفلسفة بصفة عامة والتأمل العقلي للأشياء المطلقة في الكون ذات عون كبير في "تحرر" النفس.وقالوا أن الجسم سجن أو مقبرة للنفس،وقالوا أن الإنسان لا يجب أن يحاول "التحرر" بالانتحار لأن الإنسان هو ملكية الله. إنه الوديعة الخاصة بالله.ويقال أن الفيثاغوريين حاولوا أن يفرضوا نظامهم على المواطنين العاديين في كروتونا.وقد استهدفوا إخضاع الدولة لنظامهم وقد استحوذوا بالفعل على حكم كروتونا لفترة قصيرة.وقد أدى هذا إلى هجمات على الطائفة ومحاكمة أعضائها.وحدثت محاكمة عامة وأحرق المقر العام للفيثاغوريين وتشتت الطائفة وقتل أعضاؤها أو نفوا،وحدث هذا بين 440،430 ق.م [42].

نستطيع القول كما يشير إلى ذلك عبد الرحمن بدوي في موسوعته إلى أن المدرسة الفيثاغورية كانت جماعة دينية أخلاقية صوفية،حاول أصحابها أن يبتعدوا عن الحياة المضطربة التي كانت تحياها بلاد اليونان إبان ذلك العصر.لكن هذا الطابع الأخلاقي العملي لم يكن هو الطابع الذي ساد تفكيرهم العلمي والفلسفي،بل بالأحرى أن يقال إن تفكيرهم العلمي هو الذي طبع تفكيرهم الأخلاقي،وأنهم بدأوا بالعلم لينتهوا إلى الأخلاق.فكثير من آرائهم كانت تعبيرا عن معتقداتهم الدينية التي آمنوا بها واتخذوها من أجل مسلكهم في الحياة. ويذهب البعض من المؤرخين إلى أن الفيثاغوريين قد أخذوا هذه الآراء من الفلسفات الشرقية الهندية والصينية والمصرية.[43]

ثالثا:آراء الفيثاغوريين الفلسفية

تجدر الإشارة إلى أننا لا نستطيع أن نتحدث عن فلسفة فيثاغورس بل نتحدث فحسب عن فلسفة الفيثاغوريين، ذلك لأنه لا يعرف نصيب فيثاغورس في هذه الفلسفة وما هو النصيب الذي ساهم به أتباعه.

---

[40] Corn ford ;F ,M :Plato's Theory of Knowledge ,London Kegan Paul,1935,p203,.69،68 نقلا عن :أميرة حلمي مطر :الفلسفة عند اليونان، ص

[41] ج،ج ،كراوثر:قصة العلم،ص 36،35.

[42] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص32،33.

[43] عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، ص 232.

-1 **نظرية العدد**:إن القول الرئيسي الذي قالت به المدرسة الفيثاغورية هو أن كل شيء هو العدد. "إن العدد هو ما يقصي اللامحدود ،ثم يؤسس ماهية الأشياء من خلال معرفة العدد،ولكن العدد لدى الفيثاغوريين يصبح الوجود نفسه".[44] بيد أن هذا القول الذي عرفت به الفيثاغورية قد صيغ صيغتين مختلفتين اتخذ المؤرخون منهما وسيلة لفهم هذا القول على نحوين مختلفين:

فالصيغة الأولى هي أن كل الأشياء أعداد بمعنى أن الأشياء نفسها في جوهرها أعداد، أو بعبارة أخرى إن الأعداد هي التي تكوّن جوهر الأشياء.والصيغة الثانية هي التي تذكر أن الأشياء تحاكي الأعداد،ومعنى هذا أن الأشياء قد صيغت على نموذج أعلى هو العدد.وهذا القول في هاتين الصيغتين ،قد ذكره أرسطو:فهو يقول إن الأشياء جوهرها العدد عند الفيثاغوريين وذلك في كتابه "ما بعد الطبيعة"،ويقول تارة أخرى في كتاب "السماء" إن الفيثاغوريين يقولون عن الأشياء تحاكي العدد،وإن العدد نموذج الأشياء.إن أرسطو يفرق بين العدد عند أفلاطون والعدد عند الفيثاغوريين،فيقول إن الفيثاغوريين لا يجعلون الأعداد مفارقة للأشياء التي هي نموذج لها –كما فعل أفلاطون حينما جعل الصور أو المثل مفارقة للأشياء التي تشاركها في الوجود- و إنما هم يجعلون الأعداد متصلة وغير منفصلة عن الأشياء.

وفي الواقع أن هاتين الصيغتين يعبران عن قول واحد،هو أن جوهر الأشياء العدد،إذ أن أرسطو حينما يجعل الأعداد عند الفيثاغوريين غير مفارقة للأشياء إنما يجعل هذه الأشياء والأعداد شيئا واحدا.ومعنى هذا أن الأشياء في مكوناتها وجوهرها أعداد،كما أن القول بأن نماذج الأشياء هي الأعداد يرجع أيضا إلى القول بأن الأعداد جواهر الأشياء،لأن الأعداد نفسها توجد مع الأشياء و لا تفترق عنها افتراق الصور الأفلاطونية عن الأشياء المشاركة لها في الوجود. ومن هنا نستطيع أن نقول أن معنى الصيغتين واحد.والنتيجة هي أن قول الفيثاغوريين المشهور يجب أن يفهم على أساس أن الأشياء يكوّن جوهرها العدد.[45]

وكما أن طاليس قال أن الحقيقة القصوى أو المبدأ الأول الذي تتألف منه الأشياء هو الماء فإن الفيثاغوريين يرون أن المبدأ الأول للأشياء هو العدد،العدد هو أساس العالم،انه الخامة التي يصنع منها العالم.لقد وصل بهم الأمر إلى القول بأن العالم مصنوع من الأعداد،فنحن يستحيل أن نتصور كونا لا نجد فيه العدد.إنك تستطيع بسهولة أن تتخيل كونا لا يوجد فيه عدد فهذه فكرة لا يمكن تصورها وعلى هذه الأسس يخول لنا استنتاج أن العدد هو جانب هام للغاية للأشياء ويشكل جزءا أساسيا في إطار العالم.

لقد وجه الفيثاغوريون الانتباه إلى التناسب والتناغم باعتبارها النغمات السائدة في الكون.وعندما نتأمل في أفكار التناسب والنظام والتناغم سوف نتبيّن أنها مرتبطة تماما بالعدد.فالتناسب مثلا يجب التعبير عنه بعلاقة رقم من الأرقام برقم آخر.وبالمثل يقاس النظام بالأرقام،فعندما نقول أن اصطفاف فرقة من الفرق يعكس النظام والترتيب نقصد أنهم مرتبون بشكل يجعل الجنود يقفون على مسافات متساوية بعضهم عن بعض وهذه المسافات تقاس بعدد الأرقام أو البوصات. ولهذا استنتج الفيثاغوريون أن الطابع الجوهري للكون هو العدد.[46]

ولكن كيف يكون العدد حقيقة الأشياء؟

يقول أرسطو في كتابه"ما بعد الطبيعة مايلي:"لقد عنى الذين عرفوا بالفيثاغوريين بالرياضيات وكانوا أول من افترض أن مبادئ الرياضة هي أيضا مبادئ جميع الأشياء...فقد اقتنعوا بأن مبادئ العدد هي مبادئ كل شيء وتوصلوا إلى أن السماء كلها ما هي إلا ائتلاف وعدد."[47]فمبادئ العدد هي التي تكون الواحد ،أما باقي الأعداد فهي تصدر كلها عن الواحد أو ترتد إلى الواحد.

---

[44] هانز جيورج غدامير:بداية الفلسفة،ص 123.

[45] المرجع نفسه، ص 228.

[46] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 34،35.

[47] Aristote ;Œuvres Completes,par Barthélemy-saint Hilaire, Métaphysique 2 Vols par Tricot, paris,1932,نقلا عن

2-**نظرية الكون**:حاول الفيثاغوريون تفسير طبيعة الكون،ورأوا أن التفسير المادي الذي قال به السابقون عليهم يثير صعوبات من أهمها،أنه لو اتصف مبدأ الكائنات بصفة من صفات أحد العناصر المحسوسة فإنه لن يكون مبدأ سابقا عليها في الوجود.

ثانيا:لو فسرنا جميع الكائنات بمادة واحدة فما الذي يميزها عن بعضها ويحدد لكل نوع منها صورته الخاصة به.[48]

وقد وجد فيثاغورس و أتباعه حل هذه الصعوبات في ملاحظاتهم على الصوت أو في السمعيات Acoustics.فمن تلك الملاحظات أن المطرقة حين تدق السندان فإنها تحدث أصوات مختلفة بحسب ثقلها.ومنها أيضا أن اختلاف الأنغام الموسيقية الصادرة عن أوتار القيثارة لا ترجع إلى اختلاف المادة المصنوعة منها تلك الأوتار ،ولكن يرجع اختلاف الأنغام إلى اختلاف طول الأوتار،ومن ثم تختلف الذبذبات التي تحدثها هذه الأوتار.

من جملة هذه الملاحظات توصل الفيثاغويون إلى فكرتهم الجديدة في تفسير طبيعة الأشياء.فما دام العدد هو الحقيقة المعقولة المفسرة لظاهرة الصوت المحسوسة فيمكن أيضا أن يكون هو الحقيقة المفسرة لجميع الأشياء سواء منها المحسوسة أو العقلية.وعليه قدم الفيثاغوريون نظرة جديدة هامة للكون،إذ اعتبروا أن الأعداد هي أهم العناصر والأدوات التي بحوزة الإنسان.وبفضلها يستطيع الإنسان التعبير عن العلاقة بين الأشياء وكيفية تكوينها،وكذلك عن الظواهر(كالحركات السماوية) و أسبابها.[49]ومن جهة أخرى كانوا أول من أكد فكرة التناغم الكوني، أي التوافق والانسجام الكلي الذي نشاهده في الكون.وشبه ذلك بالقطعة الموسيقية،فقال:إن كل كوكب أو نجم يمكن اعتباره بمثابة آلة تعزف مقطوعتها في السيمفونية الكونية الكبرى. [50]

لقد أدرك الفيثاغوريون بشكل صائب كل العلاقات الرياضية الأساسية،لكنهم استشعروا وجودها وقطعوا شوطا مدهشا في توقع مداها.اكتشفوا أن النغمات الموسيقية تختلف في الحدة طبقا لعلاقات رياضية أساسية وأن الموسيقى بالتالي،هي تعبير آخر عن ذلك النظام الكامن نفسه،الذي يخاطبنا من خلال المعجم الرياضي،وأدركوا أن الرياضيات ،مثل الموسيقى ،هي في نهاية الأمر تعبير عن التناغم.وهذا الأخير هو الذي رأى فلاسفة الإغريق أنه الهدف النهائي للروح،تناغم دينامي بين قوى متصارعة أو توترات متنازعة،التناغم بوصفه وجها من أوجه الجمال،الذي وصفه أفلاطون بأنه أعمق استبصار إنساني في ماهية الكائن الإلهي [51].

أما عن تركيب الكون،فكانوا يرون أن الأرض كروية الشكل وهي قريبة من مركز الكون.والكواكب تدور حولها في مدارات منفصلة ومائلة عن خط الاستواء السماوي،ولكنه قدم اقتراحا ثانيا يقضي بوجود نار مركزية في الكون يدور الكل(بما في ذلك الأرض) حولها في مدارات دارية، وذلك لتفسير دوران السماء(الشمس والنجوم والكواكب الخ) في يوم واحد، وهو ما يدل عليه تعاقب الليل والنهار.

وقد اعتمدت الفيثاغورية على الفلسفة العددية للتأكيد على أن الكون يحتوي على عشرة أجسام –العدد العاشر هو أكثر روعة-رتبها كالتالي،ابتداء من النار المركزية:قرين الأرض،الأرض،القمر،الشمس،الكواكب الخمس المعروفة آنذاك (وهي عطارد والزهرة والمريخ والمشتري و زحل) ثم كرة النجوم (الخارجية البعيدة).[52]

:أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان ، ص 71.

[48]R, G, Collingwood, The idea of Nature, Oxford, 1957, p 150. نقلا عن :أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان ، ص 70.

[49]أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان، ص 70.

[50]جمال ميموني و نضال قسوم:قصة الكون ، ص 36،37.

[51]توماس جولدشتاين :المقدمات التاريخية للعلم الحديث من الإغريق القدماء حتى عصر النهضة،ترجمة: أحمد حسان عبد الواحد،سلسلة عالم العالم المعرفة،العدد 296،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت ،سبتمبر2003،ص 71،72.

[52]جمال ميموني و نضال قسوم:قصة الكون ، ص 36،37.

بالإضافة إلى ذلك فقد قال الفيثاغوريون بأن العالم حادث،وذلك واضح من كلام أرسطو حين يقول إن واحدا من الفلاسفة السابقين لم يقل بأن العالم قديم،بل كلهم قالوا عن العالم حادث،وهذا يدلنا دلالة قاطعة على أنه حتى الفيثاغوريين أنفسهم قالوا بأن العالم حادث.لكن كيف يقولون إن العالم حادث؟لقد قالوا إن العالم كان في البدء في وسطه أو في مركزه النار،وعن طريق الانجذاب إلى هذه النار تنفصل الأشياء عن اللامحدود- واللامحدود عند الفيثاغوريين هو الهيولى أو الخلاء-نقول حينئذ ينجذب نحو النار بعض العناصر القريبة إليها،وشيئا فشيئا يتكون العالم.والعالم مكون أولا من السماء الأولى وتليها الكواكب الخمسة،ويلي الكواكب الخمسة على الترتيب:الشمس ثم القمر ثم الأرض،ولكي يتم عدد هذه الأجرام فتصبح عشرة من أجل أن يكون الكون كاملا، أضافوا جرما جديدا سموه بالأرض المقلوبة وهذا الجرم الجديد مركزه بين الشمس والأرض، وهو الذي يتمثل في إحداث الليل والنهار.

وعلى هذا الأساس قام النظام الكوني عند الفيثاغوريين.وتأتي بعد هذا فكرة الانسجام،فيقول الفيثاغوريون إن الكواكب متحركة،وإن كل حركة تؤدي إلى نغمة وغن النغمة تختلف الواحدة منها عن الأخرى تبعا لسرعة الحركة،والأجرام أو الكواكب المختلفة في سرعة نغماتها تبعا لبعدها أو قربها من المركز،ولهذا فإنها نغمات مختلفة،إلا أن هذه النغمات المختلفة تكوّن في تدرجها الطبقة (الأوكتاف). والطبقة أو الاوكتاف هي الانسجام عند الفيثاغوريين،ولهذا فإن الأجرام السماوية في حركاتها تبدو في انسجام أو تحدث انسجاما. [53]

خلاصة

لقد كان للفيثاغوريين بالغ الأثر في تاريخ الفلسفة اليونانية فيما بعد فباعتراف الفلاسفة اليونان أنفسهم يكاد معظمهم يذكر أثر الفيثاغوريين عليه سواء كان هذا التأثير إيجابيا كما هو مع أنباذوقليدس وسقراط وأفلاطون أو سلبيا كما يظهر ذلك عند الإيليين والسوفسطائيين وأرسطو.

[53] عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، ص231.

المحور الرابع المدرسة الإيلية

تمهيد

أولا:اكسينوفان

ثانيا: بارمينيدس (530-440 ق.م)

ثالثا: زينون الإيلي

خلاصة

تمهيد: يسمى الايليون بهذا الاسم نظرا لأن مقر مدرستهم بلدة إيليا في جنوب ايطاليا. وقد اعتاد المؤرخون أن يبدأوا المدرسة الإيلية بفيلسوف لايمك أن يعد فيلسوفا خالصا ،وكل ما يمكن أن نعدّه هو أنه فيلسوف انتقال بين المدرسة الأيونية والمدرسة الإيلية،هذا الفيلسوف هو "اكسينوفان . كما يشير إلى ذلك "عبد الرحمن بدوي في الجزء الأول من موسوعته.غير أن بعض المؤرخين يعتبرون أن بارمنيدس وزينون الممثلان الرئيسيان للمدرسة كلاهما من مواطني إيليا.ونحن مع الإيليين نخطو لأول مرة على أرض الفلسفة الحقة.فالإيلية هي الفلسفة الحقة الأولى ،وفيها ظهر العامل الأول للحقيقة مهما يكن شاحبا وواهيا وغير دقيق.إن تاريخ الفلسفة يمثل خطا محددا للتطور، والحقيقة تكشف نفسها تدريجيا في الزمن.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المؤرخين يعتبرون المدرسة الإيلية هي أول مدرسة فلسفية وعلمية في الحضارة اليونانية.

أولا:اكسينوفان:Xenophanes لقد ولد حوالي 576 ق.م في قولوفون في أيونيا.ينسب إلى المدرسة الايلية،غير أن هذه النسبة تعرضت لكثير من النقد.فأهم رواية تستند اليها هذه النسبة هي التي ترجع إلى أفلاطون إذ وصفهم بأنهم أنصار الكل وأن اكسينوفان هو رئيسهم.أما الرواية الأخرى فترجع إلى أرسطو الذي يذكر أن بارمينيدس قد تتلمذ على يد اكسينوفان.غير أن هذا الكلام لا يكفي لنسبة المدرسة إلى اكسينوفان.فأرسطو نفسه يقول إن اكسينوفان لم يفسر شيئا بوضوح،فضلا عن أن المعروف عن حياة اكسينوفان أنه لم يستقر في مكان ما حتى تنسب له مدرسة و إنما عاش معظم حياته متجولا من بلد إلى آخر فهو يقول وقد بلغ الثانية والتسعين من عمره"لقد مضى عليّ ستون عاما و أنا انتقل من بلد إلى آخر".[54]

يعد اكسينوفان هو أصل النزاع بين الفلسفة والدين،فقد هاجم الأفكار الدينية الشعبية عند اليونان بهدف التوصل إلى تصور أكثر صفاء ونبالة عن الرّب.ويقوم الدين اليوناني الشعبي على أساس الاعتقاد في عدد من الآلهة التي يجري تصورها على شكل كائنات إنسانية.ولقد هاجم اكسينوفان هذا التصور عن الله باعتباره يحتوي على شكل إنساني.يقول إن من العبث افتراض أن الآلهة تنتقل من مكان إلى مكان على نحو ما تصورها الأساطير اليونانية.ومن العبث افتراض أن للآلهة بداية،ومما يحط من شأنهم أن نعزو لهم قصصا مليئة بالخداع والاحتيال واللصوصية والزنا.كما تجادل أيضا ضد فكرة تعدد الآلهة.فإن ما هو إلهي لا يمكن إلا أن يكون واحدا و لا يمكن إلا أن يوجد واحد هو أفضلها لهذا فان الله يجب تصوره على أنه واحد وهذا الإله لا يشبه الفانين سواء في الصورة الجسدية أو الفهم.يقول:"إنه كله بصر وكله سمع وكله فكر".إنه "هو الذي دون مشقة وبفضل تفكيره يحكم الأشياء جميعا".يقول:"تأمل في السموات الواسعة وسوف تجد أن الواحد

[54] أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان، ص81،82.

هو الله" في إحدى الشذرات يقول" الإله المتوحد ،الأعظم من بين الآلهة والناس،الذي لا يشبه الفانين لا من حيث الشكل ولا من حيث البصـــيرة...يحكم العالم بعقله...ويظل في مكانه دائما من دون حركة"[55].والله لا يتغير ولا يتحرك ولا ينقســـم ولا يحركه شـــيء وهو لا يضطرب ولا ينفعل.وقوله بأن "الكل هو الواحد جعله يحتل مكانة بارزة في تاريخ الفلسفة.[56]

ويذكر المؤرخون أن اكســـينوفان كان يرى أن الكون في محتواه الجوهري محدود وكروي متجانس من الداخل،و أن الأرض منبســـطة وبلا حدود ،و أن جذورها تمتد إلى ما لانهاية،ثم إن الهواء منتشر فوقها وفضاؤها ليس محدودا أيضا.،غير أن تفسيرات كسينوفان طغى عليها الجانب الأدبي في تصوره لذلك لم تتسم نظريته بالعقلنة والدقة العلمية.[57]

ثانيا:بارمنيدس Parmenides

ولد بارمنيدس حوالي (504،450ق.م) في إيليا ،ولا يعرف الكثير عن حياته ولقد كان في مطلع شـــبابه فيثاغوريا ولكنه تمرد على تلك الفلسفة وصاغ فلسفة خاصة به.ولقد كان في القديم يحظى بتقدير كبير بسبب عمق تفكيره وسمو خلقه ونبالته.ويذكر "بلوتارخوس" قد وضع تشريعا لمواطنيه كانوا يقسمون في بداية كل عام على احترامه.وألف قصيدة على وزن الملحمة في الطبيعة جمعت بين عمق تفكيره المنطقي والتجربة الدينية وجمال الأسلوب، فكان أول من استخدم الشعر بدلا من النثر من بين الفلاسفة الأوائل. [58]

وترد فلسفته في قصيدة تعليمية تنقسم إلى قسمين:القسم الأول يعرض فلسفته ويسمى (طريق الحق).أما القسم الثاني فيصف الآراء الزائفة السائدة في أيامه ويسمى (طريق الظن).

يصدر تأمل بارمنيدس من ملاحظة النقلة والتغير في الأشياء ،فالعالم كما نعرفه هو عالم التغير والحركة فكل الأشياء تظهر وتنقضي ولاشيء دائم ولا شيء يظل فالشيء في لحظة لا يكون في اللحظة التالية ،ويكون قولنا صادقا إذا قلنا عنه انه موجود وحقيقة الأشياء ليست هنا لأن ما من معرفة يمكن أن تتولد مما يتغير دائما.ومن ثم فإن تفكير بارمنيدس يصـــبح هو الجهد لإيجاد الدائم وســـط التغير وإيجاد الثابت وســـط نقلة وحركة الأشـــياء.وهناك ينشـــأ بهذه الطريقة التناقض بين الوجود و اللاوجود والحقيقي المطلق هو الوجود ،واللاوجود هو غير الحقيقي.واللاوجود ليس شيئا على الإطلاق.وهو يوجد بين هذا للاوجود وبين الصيرورة وبين عالم التغير والأشياء المتغيرة،أي العالم المعروف لنا عن طريق الحواس.إن عالم الحس غير حقيقي،وهمي ،مجرد مظهر،إنه لا وجود.والوجود وحده هو الحقيقي.وكما اعتبر طاليس الماء هو الحقيقة الواحدة،وكما اعتبر الفيثاغورين العدد هو الحقيقة الواحدة فإن الحقيقة الواحدة عند بارمنيدس،أي المبدأ الأول للأشـــياء هو الوجود غير المختلط تماما باللاوجود، وهو خال كلية من كل صيرورة.وطابع الوجود يتصف في معظمه بسلسلة من السلوب،ففيه لا يوجد تغير،إنه لا يصبح ولا يستنفد على الإطلاق.وهو ليست له بداية ولانهاية وهو لا يظهر ولا ينقضي،فلو كان الوجود قد وجد إذن فإنه إما ا نياتي من الوجود أو من اللاوجود.ولكن أن يصدر الوجود عن الوجود فإن هذا ليس بداية،و أن يصدر الوجود عن اللاوجود فإنه مستحيل لأنه لن يوجد سبب يحتم ظهوره آجلا لا عاجلا.إن الوجود لا يمكن أن يصدر عن اللاوجود،ولا يصدر شيء من العدم من العدم لا يصدر إلا العدم« Ex nihilo nihil fit ».،هذه هي الفكرة الأساسية عند بارمنيدس.

---

[55] هانز جيورج غدامير:بداية الفلسفة،ص136.

[56] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 38،39.

[57] جمال ميموني و نضال قسوم:قصة الكون،ص 34.

[58] أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان، ص83.

إن الوجود لا يوجد له ماض ولا حاضر ولا مستقبل،إنه بالأحرى حاضر خالد بلا زمان، « إن من المستحيل أنه وجد في أيما وقت مضى ،وأنه لن يوجد في المستقبل « oude pot'én oud esti »،لأنه موجود الآن ككون كامل « epei nun esti homou pan ».وهو غير منقسم ولا يقبل الانقسام لأن أي شيء لكي ينقسم يجب أن ينقسم بشيء آخر ولكن لا يوجد شيء آخر سوى الوجود،لا يوجد لا وجود لهذا لا يوجد شيء يمكن به للوجود أن ينقسم،ومن ثم ،فإنه لا ينقسم،إنه غير متحرك ولا يتغير لأن الحركة والتغير شكلان من الصيرورة وكل صيرورة مستبعدة من الوجود.إنه متماثل مع نفسه وهو لا ينشأ من أي شيء آخر غير نفسه،إنه يملك وجوده كله في ذاته وهو لا يعتمد على أي شيء آخر من أجل وجوده وحقيقته.[59]

لقد أقام بارمنيدس مذهبه في الوجود على أساس منطقي عقلي صرف لايعتمد على أي خبرة حسية واستدل على صفاته هذا النحو الذي يذكره في قصيدته:

« سوف أحدثك فلتسمع كلامي،لا يمكن معرفة اللاوجود لأنه مستحيل ولا يمكن التعبير عنه باللغة ذلك لأن الفكر واللغة يفترضان الوجود،فالوجود موجود أما اللاوجود فليس شيئا على الإطلاق.ولتحذر أن تسلك طريق الزيف أو تتبع ذوي الأعين العمياء أو الآذان الصماء الذي يوحدون بين الوجود واللاوجود ،بلى لتبحث بعقلك عن اليقين الذي أعرضه عليك.ليس هناك سوى طريق واحد نتحدث عنه هو الذي يثبت أن الوجود موجود.وفي هذا الطريق علامات كثيرة تدل على أن الوجود لم يكن ولن يفنى وأنه واحد ومن نوع واحد وهو ثابت لانهائي ليس له ماض ولا مستقبل مادام هو الآن كامل مستمر متصل فأي أصل تبحث عنه؟ لا تقل إنه صدر عن اللاوجود لأن اللاوجود لا يمكن الحديث عنه ولا فهمه و إلا فأي ضرورة تدخلت فيما بعد لتجعله ينشأ متأخرا بعد العدم؟ لقد حكمت الضرورة Ananké بأن الوجود لا يكون ولا يفسد بل يظل ثابتا على ما هو عليه كما تلخص الموضوع في التفرقة الحاسمة بين الوجود واللاوجود.والفكر والوجود متحدان وبغير الوجود لا يكن فكر على الإطلاق..» .[60] يقول أرسطو إن قول بارمنيدس بهذا يجعله أول معارضي المذاهب الطبيعية،لأن في الطبيعة تعددا،وبارمنيدس يأبى إلا أن يكون الوجود واحدا .

ويذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن بارمنيدس أعطى لآرائه بعدا علميا وذلك عندما قرر أن الجسم الكروي مثالي لأن أي نقطة من سطحه تقع على نفس المسافة من المركز و لأن سطح الكرة مستمر بلا انقطاع.ومن ثم قال بأن الأرض لا بد أن تكون كروية الشكل.وكذلك عاكس في نظريته الاعتقاد الذي كان سائدا عند اليونانيين بأن كل شيء مشتق من عنصر أساسي أو مكون من العديد من المواد الأولية، فافترض وجود عنصرين هما النار(أو الضوء) وهو عنصر رقيق وشفاف، والتراب وهو عنصر ثقيل وكثيف.ثم بنى نموذجا للكون يعتبر أول تصور فلكي من نوعه عند الإنسان، وقد أخذ به العديد من الفلاسفة فيما بعد، بمن فيهم أرسطو وابن سينا.فقد صور بارمنيدس الكون على شكل سلسلة من الطبقات المتمركزة حول الأرض،تعلوها القبة السماوية الصلبة والمحكمة التماسك،التي تشكل الحدود الطبيعية للأجرام السماوية،وتحتها طبقة من عنصر رقيق خفيف،ثم طبقة لنجمي الصباح (عطارد) والمساء(الزهرة)،ثم طبقة للشمس والقمر،وأخيرا طبقة تحمل النجوم.وتصور بارمنيدس أن الأرض تقع وسط هذه الطبقات السماوية المتراكبة،وأنها في حالة توازن لعدم ظهور أي حركة لها،وأما مركز الكون(مركز الأرض ومركز الطبقات السماوية)فيوجد به الإله المكيد (Demon) الذي يحكم الكل.

---

[59] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية ،ص 40،41.أنظر أيضا:هانز جورج غدامير:بداية الفلسفة،ص 178.

[60] Burnet; j: Early Greek philosophy; London, 1949, p, 174, نقلا عن: أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان،ص .85.

وهو كذلك أول من اقترح فكرة وجود أكوان متعددة ومتراكبة،وربما تكون متوازية في تطورها الزمني والفيزيائي،وذلك لتفسير وجود عدة إدراكات مختلفة للعالم وللحقيقة من طرف الناظرين.ويشير الدارسون المعاصرون إلى وجود تشابه بين هذه الفكرة مع تلك التي نتجت عن نظرية الفيزياء الكوانتية في العشرينيات الأخيرة من القرن العشرين.[61]

ويعتبر بارمنيدس طريق الظن بأنه طريق الزيف والوهم ومن يسيرون فيه يقعون في خطأ الخلط بين الوجود واللاوجود إذ يظن الضالون من البشر أن الوجود واللاوجود شيء واحد وأنهما متساويان فيتجاهلون تلك القضية الأساسية وهي أن الوجود موجود أما اللاوجود فليس موجودا .يصف بارمنيدس القائلين بهذا بأنهم جهلة eidotes.[62]

ثالثا:زينون الايلي

وثالث الفلاسفة الهامين في المدرسة الايلية وآخرهم هو "زينون الإيلي ،ويقع مولده في حوالي 489ق.م. ولقد ألف بحثا كتبه نثرا عرض فيه لفلسفته.ويعتبر البعض أن مساهمة زينون في المدرسة الإيلية كانت سلبية للغاية بمعنى ما من المعاني فهو لم يضف أي شيء إيجابي إلى تعاليم بارمنيدس.يعد زينون أحد رواد مذهب الوحدة باعتباره أقدم مذهب ميتافيزيقي في الفلسفة الغربية.فقد فلاسفة المدرسة الإيلية أن الوحدة هي الصفة الأساسية للوجود،بل الصفة المميزة للوجد الحقيقي والوجود الظاهري،وبين الوجود الدائم والوجود المتغير ولما كان الوجود المتعدد المتغير هو الذي يدركه الحس-لا العقل- لزم عن قول الإيليين بالوحدة قول آخر،هو أن العقل وحده العلم الحقيقي.[63]

كما أيد زينون بارمنيدس في مذهبه عن الوجود،غير أن نتائج زينون ليست بالجديدة،وإنما الجديد الذي طرحه فيتمثل في الأسباب التي طرحها للتدليل على هذه النتائج.ففي محاولته لتأييد مذهب بارمنيدس من وجهة نظر جديدة أدلى بأفكار محددة عن الطبيعة القصوى للزمان والمكان وهي أفكار أصبحت منذ ذلك الوقت ذات أهمية قصوى في الفلسفة،لقد علم بارمنيدس أن عالم الإحساس وهمي ومزيف.والشيئان الجوهريان في ذلك العالم هما الكثرة والتغير.أما الوجود الحق فهو واحد بشكل مطلق،وليست فيه أية كثرة أو تعدد،زيادة على ذلك فإن الوجود ساكن لا يتغير على نحو مطلق،وليست فيه أية حركة.إن الكثرة والحركة هما الخاصيتان المميزتان لعالم الحواس الزائف.ولهذا وجه زينون مجادلاته ضد الكثرة والحركة وحاول بشكل غير مباشر أن يدعم نتائج بارمنيدس بإظهار أن الكثرة والحركة مستحيلتان،لقد حاول أن يرغم الكثرة والحركة على إبراز تهافتهما بإظهار أنهما قضيتان متناقضتان لو افترضنا حقيقتهما.إن أية قضيتين تناقض كل منهما الأخرى لا يمكن أن تكون كلتاهما صادقة،ولهذا فإن الغرضين اللذين منهما تنتجان ألا وهما الكثرة والحركة لا يمكن أن يكونا شيئين حقيقيين.[64]

بمعى آخر، أراد زينون أن يدافع عن مذهب الوجود الواحد الثابت،فلجأ من أجل هذا إلى طريقة غير مباشرة ،فبينما كان أستاذه يستخرج خصائص الوجود من ماهية الوجود نفسه استخلاصا استدلاليا،لأن صفات الوجود تستخلص كلها من ماهية الوجود،نرى زينون على العكس من ذلك يحاول الدفاع عن مذهب بارمنيدس مستعملا طريقة غير مباشرة،وذلك بأن يقول إن المذاهب المضادة لمذهب الوجود عند بارمنيدس تفضي قطعا إلى تناقض،ومعنى إفضائها إلى تناقض أنها غير صحيحة،ومادامت غير صحيحة فالمذاهب المضادة لها غير صحيحة.وعن هذا الطريق يثبت الأصل ببطلان النقيض.ولو أن في هذا المنهج الشيء الكثير من الجدل اللفظي،فإنه يلاحظ أن زينون لم

---

[61] جمال ميموني و نضال قسوم:قصة الكون،ص 34، 35.

[62] أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان،ص .89،90.

[63] أزفلد كولبه:المدخل إلى الفلسفة،ص 156،157.

[64] وولترستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 45.

يكن في جدله مشابها للسوفسطائية فالغرض متباين عند الاثنين،لأن زينون كان يرمي من وراء جدله إلى إثبات حقيقة إيجابية،هي مذهب الوجود عند أستاذه بارمنيدس،بينما كان السوفسطائيون يرمون من وراء جدلهم إلى نتائج سلبية،هي القضاء على الفلسفة كما تصوّرت حتى ذلك الحين.هذا من جهة ،ومن جهة أخرى يلاحظ أن الدقة المنطقية أو دقة الاستدلال عند زينون كانت دقة واضحة،وكانت تسير على أصول مرعية من المنطق،بينما لم تكن الحال كذلك عند السوفسطائيين. [65]

خلاصة

لقد كانت المدرسة الإيلية نقطة تحول حاسمة في تاريخ الفلسفة اليونانية في المرحلة السابقة على سقراط.فقد أثرت أكبر تأثير في المرحلة التالية لها.فكان على كل الفلاسفة الذين تلوا هذه المدرسة أن يأخذوا بأقوالها،أو على الأقل أن يحسبوا حسابا لهذه الأقوال.إنها أثرت حتى في أعدائها المعارضين لها تمام المعارضة مثل هيرقليطس.وكان تأثيرها واضحا في أمبادوقليدس وأنكساغوراس وديمقريطس.فهؤلاء قد اضطروا إلى جعل المبدأ الأول متصفا بالصفات التي يتصف بها الموجود عند الإيليين:فهو أزلي أبدي ثابت،وتبعا لهذا غير متغير بالكيف.لهذا يلاحظ أن جميع المبادئ الأولى التي قال بها هؤلاء الفلاسفة اللاحقون على المدرسة الإيلية لم تكن تقبل التغير بالكيف بل تقبل التغير بالكم وحده،كما أنه يلاحظ أن فكرة التغير قد أخذت تقل في الدور الذي تبعهم،فأصبحت الطبيعة بعد ذلك طبيعة آلية،وأصبحت ظواهر الطبيعة تفسّر تفسيرا كميّا آليا كيفيا،يقوم على تفسير الكيفيات باستحالتها بعضها إلى بعض[66].

زيادة على ذلك،فإن البحث عن التفسير الواحدي للأشياء هو اتجاه شامل في الفكر الإنساني،كما أن الدراسات المعاصرة تشير إلى أن التفسير العلمي هو تقدم في أساسه نحو الواحدية.كما أن الدين يبدأ بتعدد الآلهة ثم ينتقل إلى الواحدية المؤلهة وهي الإيمان بالإله الواحد هو المؤلف والخالق الوحيد للكون.فالواحدية إذن،هي فكرة ضرورية في الفلسفة والدين والعلم،لأن المطلق يجب أن يكون واحدا.

[65] عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة،ص 272.

[66] المرجع نفسه،ص 276.

المحور الخامس المدرسة الذرية

تمهيد

أولا:ليوقيبوسLeukippos

ثانيا: أنبادوقليدس Empédocle

ثانيا:ديمقريطسDémocrite

خلاصة

تمهيد

تشير الدراسات الكيميائية إلى أننا نعيش في عالم تصنعه الذرات،ونحن كجزء من هذا العالم تتكون أجسامنا.وغالبا ما تتحد الذرات في جسيمات أكبر تسمى بالجزيئات،أو تتغير تغيرا طفيفا إلى جسيمات تسمى بالأيونات،في حين يتكون تنوع وتعقد الأشياء الموجودة في عالمنا من تلك الوحدات البنائية التي نسميها الذرات.والكيمياء هي الاسم الذي نطلقه على التغيرات التي تحدث عندما تتفاعل الذرات والجزيئات والأيونات مع بعضها البعض.[67]

والمذهب الذري Atomisme مذهب فلسفي يثبت أن المادة مكونة من ذرات تتولد من تركيب خواصها جميع ظواهر الأجسام الحسية.[68]فما هي أصول فلسفة الذرة؟وما هي أهم أفكارها لدى فلاسفة الذرة اليونان؟

أولا: ليوقيبوس Leukippos

مؤسس الفلسفة الذرية هو ليوقيبوس الملطي ومن الناحية العملية لا يعرف شيء عن حياته كما لا يعرف بالمثل تاريخ مولده وتاريخ وفاته ومقر إقامته ولكن يسود الاعتقاد بأنه كان معاصرا لأمبادوقليدس وأنكساجوراس.فهو أول من قال بفرض الذرة في اليونان،وقد هاجر إلى مدينة إيليا وتأثر بفلسفة بارمنيدس و أتباعه،ولكن بقيت فلسفته على الرغم من ذلك بعيدة جدا عن التأثر بالنزعة الصوفية التي تميز الفلسفة الإيطالية،وكان تأثيرها بالطابع العلمي للفلسفة الأيونية أوضح.ويذكر له كتاب بعنوان "نظام العالم الأكبر" ولكنه فقد.

أخذ ليوقيبوس بما تظهره التجربة الحسية من وجود ذرات صغيرة متعلقة بالهواء.ومن أن الضوء ينفذ من خلال الزجاج،وأن الماء وبعض السوائل تنفذ من الطوب.وأخذ من جهة أخرى بمنطق الإيليين:بأن الوجود لا ينشأ عن اللاوجود لا يمكن أن يصير إلى اللاوجود،وانتهى من كل ذلك الى افتراض أن الوجود ليس واحدا كما قال بارمنيدس بل منقسما إلى ذرات لا نهائية العدد لها جميع خصائص الوجود البارمنيدي من حيث الصلابة والخلود ولكنها تنفصل عن بعضها وتتحرك في خلاء.وتجمعها يحدث كون الظواهر المشاهدة وانفصالها يحدث فسادها.

وقد اتفق معه "ديمقريطس" في هذه الآراء وعبر عن هذه النظرية بقوله إن الحقيقة تنقسم إلى ما يسميه بالوجود يعني الذرات واللاوجود أو الخلاء. [69]

---

[67]أندرية سكوت:جوهر الطبيعة،ترجمة:هاشم أحمد محمد،مراجعة:علي يوسف علي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1998،ص 75.

[68]جميل صليبا:المعجم الفلسفي، الجزء الأول،ص 589."والذرة في الأصل هي الجزء الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ،أثبتها لوسيب،وديمقريطس :فقال:إن الجواهر الفردة أبدية،ومتجانسة،وثابتة،لا تختلف عن بعضها عن بعض إلا بصورها وأوضاعها وحركاتها .ويطلق المحدثون لفظ الذرة على أصغر جزء من عنصر مادي ما،يصح أن يدخل في التفاعلات الكيماوية.وهذه الأجزاء المادية ثابتة الكيفيات،منها الذرة الكيماوية،وهي أصغر جزء في العنصر الكيماوي. (راجع:جميل صليبا:المعجم الفلسفي،الجزء الأول، ص 588.)

[69]أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان، ص 10،108.

ويروى أن ليوقيبوس بسط النظرية الذرية في كتاب دعاه""نظام الكون العظيم"(Magas diacosmos)،وتنسب إليه جملة هي:"لا يحدث شيء عبثا(بدون علة)،فكل شيء ينشأ عن سبب ويتولد عن الضرورة".[70]

ثانيا: أنبادوقليدس Empédocles

1-**حياته** :امبادوقليدس هو من بلدة "أجريجنتا" الواقعة على الساحل الجنوبي لصقلية ويقع مولده في حوالي 435ق.م ووفاته حوالي 495ق.م .وهو مثل فيثاغورس له شخصية قوية و آسرة.ومن ثم ظهرت على نحو سريع جميع أنواع الأساطير وتناسخت حول حياته وموته.

وقد اعتقد في نفسه قدرة تفوق الطبيعة بل ادعى الألوهية،وفي ذلك يقول:لقد أتيتكم كإله خالد مبجل من الجميع كما تقتضي طبيعتي.جئتكم متوجا بأكاليل الغار...وقد اصطف لتحيتي الرجال والنساء وكلما مررت بإحدى المدن تبعتني آلاف من الناس يسألونني عن طريق الخلاص.البعض يطالبني بإتيان المعجزات و الآخرون ممن يقاسون شتى الأمراض يسألونني الشفاء.

وقد ألهه الناس بعد موته الذي تحوطه الأساطير،ويقال إنه بعد اجتماع له مع أصدقائه اختفى تماما وظهر ضوء في السماء ثم قذف بركان "إتنا" بنعليه البرنزيين.

أما عن كتاباته،فقد نسب له المؤرخون عددا كبيرا من المؤلفات ضاع معظمه ولم يبق سوى شذرات مختلفة من قصيدتين طويلتين إحداهما في طبيعة الأشياء وصل طولها ألفي بيت من الشعر والأخرى في التطهيرKatharmoi.[71]وفي نفس السياق يقول "جورج سارتون" في كتابه"تاريخ العلم (الجزء الثاني) مايلي:"وتشتمل مؤلفاته على أغان تطهيرية(Catharmoi) .وثلاثة كتب عن الطبيعة (Peri physeos)،وقصيدة طبية (Iatricos).وقد وصلنا 450بيتا من جميع آثاره.[72]

وتحكى عنه روايات ظلت محفوظة حتى الآن ،وتدخل في باب الخوارق ،إذ تقول الأسطورة أنه كان يستطيع التأثير في الطقس وبفضل خبرته الطبية نجح في مكافحة وباء الملاريا الذي انتشر في مدينة سيلينوس Silenus،وساد اعتقاد بأنه رفع إلى السماء .[73]

2- **فلسفته** :فلسفته هي فلسفة انتقائية في طابعها.فالفلسفة اليونانية تطورت في هذه المرحلة إلى أضرب من المبادئ المتصارعة وكانت مهمة امبادوقليدس التوفيق بينها وصهرها في مذهب جديد لا يحتوي على أي فكر جديد خاص بهذا المذهب.ومن المبادئ الأولى في فلسفته هي أن الوجود لا يمكن أن ينتقل إلى الوجود كما أن اللاوجود لا يمكن أن ينتقل إلى الوجود،وما يوجد يظل إلى الأبد موجودا.والنتيجة هي:

1- أن المادة ليست لها بداية ولانهاية وأنها غير مخلوقة ولا يمكن إفناؤها(غير فاسدة).وهو نفس ما قال به بارمنيدس.

2-وأما المبدأ الثاني فهو أنه لا يمكن إنكار الصيرورة والتغير،وهو نفس ما قال به "هيرقليطس".

---

[70] جورج سارتون:تاريخ العلم الكتاب الأول العلم القديم في العصر الذهبي لليونان،،الجزء الثاني ،القرن الخامس،ترجمة لفيف من العلماء،إشراف إبراهيم بيومي مدكور وآخرون،دار المعارف،القاهرة،ص 55.

[71] المرجع نفسه،ص 96،97.

[72] جورج سارتون:تاريخ العلم الكتاب الأول العلم القديم في العصر الذهبي لليونان،،الجزء الثاني ،،ص 49.

[73] برتراند رسل:حكمة الغرب،الجزء الأول،ترجمة:فؤاد زكريا،عالم المعرفة ،عدد 62،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1403هـ/1983م،ص 57.

فقد آمن بأنه لا توجد صيرورة مطلقة وخلق كامل وتدمير كامل للأشياء وآمن بأن الأشياء تظهر وتفنى على نحو ما وأن هذا يقضي تفسيرا، وأن هذه الأفكار المتناقضة يجب التوفيق بينها.و الآن إذا نحن أكدنا أن المادة لم تخلق وغير قابلة للفناء ومع هذا آمنا بأن الأشياء تقوم وتفنى فليس هناك إلا طريق واحد لتفسير هذا:يجب أن نفترض أن الأشياء –ككل- تبدأ وتكف عن الوجود لكن الجزئيات المادية التي تتكون منها غير مخلوقة و لا تستنفد.وهذه الفكرة تشكل المبدأ الأول عند أمبادوقليدس وخلفائه الذريين.[74]

لقد أشرنا من قبل إلى قول بارمنيدس بأن ما يوجد يظل دائما هو هو وليست هناك إمكانية للتغير أو التحول ،وهنا يتبع امبادوقليدس مذهب بارمنيدس ويفسر مذهبه بطريقته،فهو يؤمن بأن النوع الواحد من المادة لا يمكن أن يتحول إلى نوع آخر من المادة،فالنار لا تصبح إطلاقا ماء و لا يمكن للتراب أن يصبح هواء على الإطلاق.وهذا ما أفضى به إلى القول بمذهب العناصر.والحقيقة أن كلمة "العناصر" هي كلمة اخترعت في عصر متأخر وأمبادوقليدس إنما يتحدث عن العناصر على أنها" جذور الكل".وهناك أربعة عناصر هي التراب والهواء والنار والماء.ولهذا كان أمبادوقليدس مخترع التصنيف الشائع للعناصر الأربعة. وكل الأنواع الأخرى للمادة تفسر على أنها خليط بنسب متفاوتة من هذه العناصر الأربعة.ومن هنا فإن كل تكون وفساد وكذلك الصفات المختلفة لأنواع بعينها من المادة يجري الآن تفسيرها بخلط أو بعدم خلط العناصر الأربعة وكل صيرورة هي بكل بساطة تركيب وتحلل.[75]

ويذهب إلى أن العناصر أو الأركان(Rhizomata)أربعة:النار والهواء والماء والتراب،وأن القوى المحركة اثنتان:قوة تجذب نحو المركز وهي الحب (philotes) ،وقوة تدفع عنه هي الغلبة(neicos).وجميع الموجودات تتركب من هذه العناصر التي لاتتغير ولا تنعدم،والتي تتألف وتتحد بفعل الحب وتتفرق وتتفكك بفعل الغلبة.[76]وفي هذا الصدد نجد أن أنبادوقليدس ينص على أن "هذه العناصر متساوية وذات أعمار واحدة،ومع ذلك فلكل واحد منها ميزة وطبيعة خاصة،ثم تسود على مر الزمن.ولا يظهر إلى الوجود أو يختفي من الوجود شيء خلاف هذه العناصر،لأنها لو كانت فاسدة على الدوام ما كانت موجودة الآن.وماذا يمكن أن يزيد في الكل ومن أين تنشأ الزيادة؟ وكيف يمكن أن تفسد ما دام لا شيء من هذه الأشياء خلاء.فلا يوجد إلا هذه العناصر فقط ولكنها تتداخل فتصبح الأشياء المختلفة في الأوقات المختلفة،وتتشابه على الدوام."[77]

فهذا النص يشير الى جوهر فلسفة الكون عند أنبادقليدس:

1-إن العناصر الأربعة هي مبدأ الوجود و أصله أعني بها مادة الكون كله.

2-إن الخلاء لا وجود له إذ الكون كله ملاء.

3-أن لاشيء يأتي من لاشيء أو يتحول إلى لاشيء.

4-أن لا خلق في الوجود البتة،إذ العناصر كلها قديمة و ما يوجد فعن اجتماعها وبسببه،وما يفسد فبسبب انفصال هذه العناصر بعضها عن بعض.

يقول "برتراند رسل" أن أنبادوقليدس أراد أن يوفق بين المذهب الإيلي وبين شهادة الحواس المعتادة،فقال بكل المواد التي جرب الفلاسفة من قبله أن يجعلوها أساسية،وأضاف إليها مادة رابعة.وقد أطلق على هذه المواد اسم "جذور" الأشياء،ثم أسماها أرسطو فيما بعد

---

[74] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 62،63.

[75] المرجع نفسه،63.

[76] جورج سارتون:تاريخ العلم الكتاب الأول العلم القديم في العصر الذهبي لليونان،،الجزء الثاني ،القرن الخامس،ص 49.

[77] فيصل بدير عون :فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية،الطبعة الأولى،مكتبة الحرية الحديثة،عين شمس،القاهرة،1980،ص51.

بالعناصر،وتلك هي نظرية العناصر الأربعة المشهورة،ونعني بها الماء والهواء والنار والتراب.لكن أنبادوقليدس احتفظ بجانب لا يستهان به من النظرية الإيلية،وهكذا نظر إلى المواد الأساسية على أنها أزلية لا متغيرة،ولا تقبل في ذاتها مزيدا من التفسير.وبرأي العلماء فإن هذه الفكرة مازالت بدورها تشكل مبدأ هاما في التفسير العلمي.

لقد عرف أنبادوقليدس أن الضوء يستغرق وقتا في الانتقال، وأن ضوء القمر غير مباشر،وإن لم يكن في وسعنا أن نحدد المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات.وكان مذهبه في الكون مبنيا على سلسلة من الدورات يبدأ بها مسار العالم،بحيث يكون "النزاع" في الخارج والمحبة في الداخل،وتكون العناصر الأربعة متماسكة. وبعد ذلك يعمل"النزاع" على طرد المحبة حتى تتفرق العناصر المتعددة تفرقا تاما، وتصبح المحبة خارج العالم.وبعد ذلك يحدث العكس حتى تصل مرة أخرى إلى نقطة البدء.وترتبط نظرية الحياة عنده بهذه الدورة.ففي المرحلة الأخيرة للدورة،عندما تتغلغل المحبة في الكون الدوري،تتكون أجزاء الحيوانات المختلفة متفرقة.وبعد ذلك،حين يعود النزاع مرة أخرى إلى الخارج تحدث تجمعات عشوائية خاضعة لمبدأ بقاء الأصلح،وحين يبدأ النزاع في الدخول مرة أخرى،تحدث عملية تمايز.ويمثل عالمنا مرحلة متقدمة من هذه العملية،يحكمها بدورها مبدأ تطوري هو مبدأ بقاء الأصلح. [78]

ثالثا:ديمقريطسDémocritus(460،360 ق،م)

1- **مولده ونشأته** :ولد ديمقريطس ببلدة أبديريا الواقعة في الطرف الشمالي من البحر الإيجي في تراقية،حوالي 460 قبل الميلاد ،وتوفي حولي 360 ق،م.لقد ذهب إلى أثينا وشاهد سقراط،ولم يجرؤ على تعريف نفسه به لشدة حيائه.وهو يقول:"أتيت إلى أثينا ولم يتعرف إليّ أحد".وقد ألّف عددا كبيرا من الكتب اتي لم تصلنا سوى أسمائها،وهي مرتبة في فئات أربع.لقد تجول كثيرا ،وحيث ذهب كان يبحث عن العلماء ويدرس عليهم،فقضى خمس سنوات في مصر يدرس الرياضيات .وصل الى بابل وفارس والهند،كان فيلسوفا يبحث عن المعرفة.لم يكن أحد مؤسسي المذهب الذري وحسب،بل كان واسع المعلومات يهتم بجميع فروع الفلسفة والعلم. [79]

2- **نظريته في الذرة** :يمثل ديمقريطس امتدادا للحلقات الأيونية الناضجة التي ظهرت ابتداء من طاليس.غير أنه دعا مع بقية فلاسفة الذرة إلى نظرية الجزيئات،فقال بأن المادة إذا كانت يمكن أن تنقسم فإننا يجب أن نصل إلى وحدات لا تنقسم.وهذه الوحدات التي لا تنقسم تسمى الذرات،ولهذا فإن الذرات هي المكونات النهائية للمادة.إنها لا متناهية في العدد وهي من الصغر بحيث يصعب إدراكها بالحواس.فإذا كان أنبادوقليدس قد افترض وجود أربعة أنواع من المادة فإننا نجد مع ديمقريطس نوعا واحدا،فالذرات كلها مكونة بالضبط من نوع المادة نفسها.

لقد ذهب ديمقريطس إلى أن الملاء ،وهو هنا الذرات،كثيرة في العدد كثرة لا نهاية لها،إلا أنه مع كثرتها فإن صفاتها محددة لأنها تتميز عنده بالشكل والحجم والوضع أو الترتيب.هذه الذرات أزلية،بسيطة،لا تنقسم،لا حد لها وهي متشابهة في الكيفية.ومن أجل هذا فإن التغير هنا مقصود به الناحية الكمية أي زيادة عدد الذرات في الجسم أو قلة عددها فحسب.فالكيف عنديمقريطس لا يلعب أي دور،واجتماع الذرات معناه وجود الأشياء وحدوثها.وتفكك هذه الذرات وانفصالها ليس إلا فناء للجسم وفسادا له،لأن الذرات لا تفنى ولا

---

[78] برتراند رسل:حكمة الغرب ،الجزء الأول ،ص 59،60.

[79] جورج سارتون:تاريخ العلم الكتاب الأول العلم القديم في العصر الذهبي لليونان،،الجزء الثاني ،القرن الخامس،ص 55،57.

تستحدث،فهي موجودة منذ الأزل وستظل إلى الأبد،وهذه الذرات لا يمكن لأحد إدراكها بالحس لأنها صغيرة في الجحم للغاية،ومن أجل هذا فهي تدرك عقلا فحسب.

والخلاء لا يدخل هذه الذرات البتة لأنها ملاء محض،هذه الذرات لا يحتمل أن تكسر ولا تهشم ولا يعرض لها في شيء من أجزائها اختلاف ولا استحالة،فهي تتحرك في الخلاء.هذا الخلاء لا نهاية له،والخلاء يوجد في الملاء لأن كليهما يحدد الآخر.وإن كان أرسطو يذكر أن ديمقريطس ذكر الخلاء على أنه "ليس بموجود".[80]

ويفهم من هذا أن عدم الخلاء معناه وجود الذرات لأنه ليس موجودا بالإطلاق لأن العالم كان ملاء لما كان بالإمكان أن تتحرك الذرات،ولهذا فإن ديمقريطس في قوله بالملاء والخلاء:أم الأول فعلى أنه موجود،وأما الثاني فعلى أنه ليس لموجود،وأنه مع ذلك بوضع وشكل وترتيب.[81]

إذا كانت النصوص السابقة تذهب إلى أن الذرات لا نشأة لها،فإن هذا يوضح عدم حدوثها من حيث أنها ليست عن شيء،وما ليس عن شيء فوجوده أزلي ثابت.أما أنها لا تكسر ولا تهشم فلأنها ملاء تام،لا يداخلها الخلاء،وهي متجانسة متشابهة.هذه الذرات من حيث أنها ملاء تام فإنها لا تقبل الانفعال ومن ثم التفتت.ودليل ديمقريطس على الجزء الذي لا يتجزأ (الذرة)أنه لو لم يكن للصغر نهاية لكان أصغر الأشياء مساويا لأكبرها في الحجم وكان يلزم كذلك أن يكون أصغر الأشياء محتويا على أجزاء لا متناهية،ومعلوم أن العقول الناضجة لا تقول بذلك.وعليه فلا بد من القول بوجود جزء صغير لا يتجزأ ولا يقبل التجزؤ.[82]

فالعالم إذن يتألف من جزئين:الملاء (pleres ,stereon)والخلاء(cenon ,manon) ،وينقسم الملاء إلى أجزاء تدعى ذرات Atomon(جزء لا يتجزأ)،وكل جوهر ،أي كل موضوع فرد،يتركب من هذه الذرات،والتراكيب الممكنة منها متناهية وعلى أنحاء متناهية،والأشياء توجد مادامت الذرات التي تتألف منها مجتمعة،وتنعدم عندما تتفرق هذه الذرات.فالتغير الدائم في الكون نتيجة اجتماع الذرات وافتراقها.ولما كانت الذرات في حد ذاتها غير قابلة للعدم يمكننا أن نعتبر هذه النظرية بمثابة إقرار لمبدأ بقاء المادة.[83]

يقول إنشتاين في كتابه"تطور علم الطبيعة" حول الأفكار الفلسفية لديمقريطس مايلي:"لقد كان لهذه الأفكار تأثير قوي على تطور علم الطبيعة إلى أن ظهرت أدلة جديدة وحقائق جديدة ونظريات جديدة كونت أساسا جديدا للعلم وحتمت ترك المبادئ القديمة.

والذي يبحث في تاريخ العلم كله، من الفلسفة الإغريقية إلى علم الطبيعة الحديث يجد أن المحاولات كانت مستمرة لاختصار تعقد الظواهر الطبيعية إلى بعض المبادئ والعلاقات الأساسية البسيطة.وهذا هو أساس كل الفلسفة الطبيعية ويبدو هذا واضحا حتى في عمل علماء الذرة. ومنذ لثلاثة وعشرون قرنا كتب ديمقريطس[84] « العرف هو الذي جعل الحلو حلوا.وبالعرف عدّ المرّ مرّا.وبالعرف أصبح الحار حارا،والعرف سمى البارد باردا،واللون لونا.أما في الواقع فليس هناك إلا ذرات وفراغ فقط.أي أن الأشياء التي تدركها الحواس تفترض حقائق

---

[80]أرسطو: الطبيعة،تحقيق:عبد الرحمن بدوي،1964،ص 43.نقلا عن : فيصل بدير عون :فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية،ص 69.

أنظر أيضا: جورج سارتون:تاريخ العلم الكتاب الأول العلم القديم في العصر الذهبي لليونان،،الجزء الثاني ،القرن الخامس.

[81]أرسطو: الطبيعة،تحقيق:عبد الرحمن بدوي،1964،ص 43.

[82]فيصل بدير عون :فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية،ص70.

[83]جورج سارتون:تاريخ العلم الكتاب الأول العلم القديم في العصر الذهبي لليونان،،الجزء الثاني ،القرن الخامس.ص 58،59.

[84]البرت إنشتين وليوبولد إنفلد:تطور علم الطبيعة "تحول الآراء من المبادئ الأولى إلى نظرية النسبية والكمات ،ترجمة:محمد النادي-عطية عاشور،مراجعة:محمد مرسي أحمد،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،2005م،ص 39،40.

واقعية،ولكن العادة جرت على عدّها كذلك،أما في الحقيقة الواقعة فليســـت هي كذلك،ليس من حقيقة واقعة إلا الذرات والفراغ »[85] وهي الفكرة نفســـها التي أكدها عالم الفيزياء "إســـحاق نيوتن" وذلك عندما افترض الكون على صـــورة ذرات وحركة وقوانين وحيز وزمان،الذرات لبنات الكون الأساسية،ذات صفات[86].

والنتيجة هي أن كل ما ندعوه واقعيا حقيقيا هو شـــيء مادي حســـي يمكن إعطاؤه تاريخا في الزمان وموضـــعا في المكان. ولذلك عد "ليوقيبوس وديمقريطس"أول من صـــاغ مبادئ المادية،وذلك حين اعتقدا أن للمادة مقومات نهائية أو ذرات ،وأن كل الأشـــياء يمكن ردها بالتحليل العلمي إلى مقوماتها المادية.[87]فكانا بذلك من الأوائل الذين صاغوا مبدأ الحتمية العلمية،وقد قال ديمقريطس في ذلك:« الضرورة سبقت وعينت كل الأشياء تلك التي كانت والكائنة والتي ستكون.فقط عن طريق الضرورة تعين سلفا السياق الكلي للأشياء.منذ مجمل الأبدية،وتاريخ الكون بأسره ليس إلا نتيجة لتكوينه الأصلي والأبدي وهي نتيجة محتمة خطوة خطوة."[88]

3-في العقل والمعرفة :تضاربت آراء المؤرخين حول تصور ديمقريطس للعقل،فبينما يقول "وولتر ستيس" :"...لقد وضع ديمقريطس مقابل هذا بصـــراحة مذهب الضـــرورة ،لا يوجد عقل في العالم،بل بالعكس أن كل الظواهر وكل صـــيرورة تتحد تماما بالعلل الآلية العمياء..." [89] نجد البعض يقول أن لديمقريطس "...رأيا خاصـــا في النفس والعقل،فهو يرى أنهما شـــيء واحد،أي أنهما من طبيعة كروية واحدة،وعندما ثار سؤال عن مكان استقرار العقل في الجسم،قال ديمقريطس أن مكان العقل هو الصدر،وذهب إلى أبعد من ذلك عندما ذكر أن النفس مبعثر في ســـائر أجزاء الجســـم...ووحد كذلك بين الإحســـاس والفكر عندما قال إن عملية الفكر تنتج عن تجمع الصـــور المعقدة للإحســـاس،والعقل مثل النفس تماما من حيث التركيب،فهما (نفس الشـــيء) ويختلفان فقط من حيث أن التجمع المحكم لذرات النفس يكون في جزء واحد من الجسم،وبالضبط في الصدر كما يراه ديمقريطس".[90]

فالعقل لديه القدرة على أن يدور تلقائيا على ذاته بالنســـبة لموضـــوع معين، والفكر مثل الإحســـاس يمكن ردهما إلى التماس المادي البحت.[91]وهذا ما دفع بالكثير من الفلاسـفة الى اعتبار ديمقريطس من دعاة المذهب العقلي،من حيث رفعه من شـأن العقل والإعلاء من قيمته.إلا أن آخرين يذهبون عكس ذلك تماما ،إذ يعدونه فيلسوفا حسيا لا يؤمن بغير الحس والحواس الفردية.[92]

والخلاصة هي أن رأي ديمقريطس في المعرفة:أن النفس موزعة في الإنسان فبعضها ذرات يسري في الجسم كله ليتقبل الإحساسات وبعض ذراتها الأدق توجد في الصدر فتكون سبب القدرة على التفكير،ويتم الإحساس والتفكير بفضل تأثير الذرات الصادرة من الأشياء على مواقع الحس والفكر.ويكون الفكر صادقا عندما تكون النفس متعادلة في الحرارة والصفات الحسية للأشياء مثل الرائحة والذوق واللون لا توجد في الأشياء ذاتها بل هي تعبر فحسب عن الحالة التي بها تؤثر في حواسنا زمن ثم فهي نسبية بالنسبة لنا.[93]

---

[85] جون هرمان راندال(الابن) و جوستان بوخلر:مدخل إلى الفلسفة،ص 209.

[86] روبرت أغروسوجورج ستانسيو:العلم في منظوره الجديد،ترجمة كمال خلايلي،سلسلة عالم المعرفة ،العدد 134، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،ص 19.

[87] جون هرمان راندال(الابن) و جوستان بوخلر:مدخل إلى الفلسفة،ص 209.

[88] Cyril Bailey ;The Greek Atomis And Epicurus ;The Clarendon Press,Oxford;1928;p121, نقلا عن :يمنى طريف الخولي:فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،2000م،ص 107.

[89] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 68.

[90] علي سامي النشار،علي عبد المعطي محمد، ومحمود عبودي إبراهيم:ديمقريطس فيلسوف الذرة وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة،الهيئة المصرية العامة للكتاب،الإسكندرية،1972م،ص 82.

[91] المرجع نفسه ،ص 83.

[92] محمد علي أبو ريان:تاريخ الفكر الفلسفي،الجزء الأول من طاليس إلى أفلاطون،الطبعة الثانية،الدار القومية للطباعة والنشر،الإسكندرية، 1965م،ص88.

[93] أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان،ص 110. وانظر أيضا:وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 69.

المحور السادس النزعة السوفسطائية

تمهيد

أولا:السياق التاريخي لظهور السوفسطائية

ثانيا:من هم السوفسطائيون

ثالثا:أهم مشاهير السوفسطائية

1-بروتاجوراس الأبديري

2-جورجياس

انتهت الفلسفة الطبيعية بديمقريطس وبدأت فلسفة الإنسان بالسوفسطائيين. لقد انصب الاهتمام أساسا على الانسان وغاياته ومثله العليا وقواعد سلوكه .و قد اعتبرت السوفسطائية من التيارات الفلسفية التي اختلف المؤرخون حولها، إذ تباينت مواقف الفلاسفة والنقاد حول مكانة المدرسة السوفسطائية في داخل التفكير الفلسفي والعلمي.فهذا أفلاطون يحمل على السوفسطائية حملة عنيفة شعواء،وبخاصة آرائهم في السياسة والأخلاق،وحذا حذوه تلميذه أرسطو،وبهذا محا كل ما للسوفسطائية من مكانة في تاريخ الفلسفة. في حين يعتبر "هيجل" السوفسطائية لحظة أساسية من لحظات تطور الفلسفة عند اليونان.ولهذا كان هناك موقفان من السوفسطائية:موقف ينظر إليها على أنها نزعة هدامة لا يمكن أن تعد نزعة فلسفية بالمعنى الصحيح،وصار الهدم فيها كالهدم عند الشكاك.والموقف الثاني ينظر إليها على أن أول بداية للتنوير الفلسفي عند اليونانيين.فأي الرأيين يا ترى يمثل حقيقة المدرسة السوفسطائية؟[94]

أولا:السياق التاريخي لظهور السوفسطائية

تمثل السوفسطائية مرحلة ثانية في تطور الفلسفة اليونانية .فإذا كانت المشكلة المطروحة في المرحلة الأولى من الفلسفة هي أصل العالم وتفسير الوجود وصيرورة الطبيعة فإن المرحلة الثانية للفلسفة تبدأ بالسوفسطائيين بطرح مشكلة وضع الإنسان في الكون .لقد كانت آراء الفلاسفة الأوائل في كليتها كونية أما آراء السوفسطائيين فهي إنسانية تماما .[95]يذهب بعض مؤرخي الفلسفة إلى أنه ينبغي —إذا أردنا أن نفهم النزعة السوفسطائية-أن نضعها في وضعها الصحيح داخل التطور الروحي عند اليونان،وأن نبيّن أن هذه النزعة كانت لحظة ضرورية لا بد منها في تطور الروح اليونانية نحو إدراكها لذاتها إدراكا تاما كليا،ولم تكن إذن ظاهرة ثانوية أو خارجة عن التطور.

فالأوضاع السياسية في الحياة اليونانية في القرن الخامس كانت قد انقلبت رأسا على عقب.وانتقلت الحياة السياسية من حال إلى حال،وبات من الضروري تغيير الفضائل المطلوبة من المواطن.انقلبت إذن الأوضاع من ناحية السياسة،ولم يعد القادة نبلاء،من نوع نبلاء الدم،بل أصبح القادة الجدد الذين تتطلبهم الدولة قادة ممتازين من حيث الفكر والثقافة،فكان واجب التربية في هذه الفترة أن تعنى بالإنسان لا من حيث الناحية الجسمية ولكن من حيث التفكير العقلي،لهذا كان المطلوب من كل من يقوم بالتربية في ذلك العصر أن يربّي المواطن على فضائل

[94]عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ص 586،587.

[95]وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 77.

الدولة.لكن مهمة السوفسطائيين لم تكن تربية رجال الدولة جميعا لكي يؤدي كل مواطن ما عليه،بل كان الغرض أن تكون متجهة إلى إيجاد طبقة من القادة تستطيع تسيير أمور الدولة.

إن الشيء الذي يمكن بل يجب أن يربّى عليه الإنسان هو الخطابة، والقدرة على التأثير في الناس، أي الناحية الشكلية في الروح الإنسانية. فالحال السياسية كانت تقتضي أن توجد طبقة من الناس تعلم كل مواطن يريد أن يصل إلى قيادة الدولة كل الفضائل التي يستطيع بها الوصول إلى تحقيق هذا الغرض أولا،ثم أن يحقق مقتضيات هذا الغرض على أتم وجه وأكمله ثانيا.ولم تكن النزعة السوفسطائية غير استجابة لهذه الحاجة الملحة التي شعر بها اليونانيون في القرن الخامس قبل الميلاد،أي أن الناحية السياسية اقتضت أن نوجد النزعة السوفسطائية.[96] فمن هو السوفسطائيون وما هي ماهيتهم؟

ثانيا:من هم السوفسطائيون؟

السوفسطائيون لم يكونوا مدرسة للفلاسفة،لا يمكن مقارنتهم مثلا بالفيثاغوريين أو الإيليين،وليس عندهم –كما هو واقع في كل مدرسة– أي مذهب للفلسفة يشتركون فيه جميعا،ولا نجد أيا منهم شيّد مذهبا للفكر.ليس لديهم شيء مشترك سوى بعض الاتجاهات الفكرية المفككة،كما لم تكن هناك رابطة شخصية لصيقة تربط أحدهم بالآخرين كما نفهم الوضع بالنسبة للأعضاء في المدرسة الواحدة.لقد كانوا فئة محترفة لا مدرسة وعلى هذا النحو كانوا متناثرين في جميع أنحاء اليونان وكانوا يتغذون بالمنافسة المهنية ولقد كانوا أساتذة ومربين محترفين.ويرجع ظهور السوفسطائيين إلى الطلب المتزايد على التعليم الشعبي،بحيث يمكن لأي إنسان أن يرتفع إلى ذروة المناصب في الدولة إذا كان مزودا بالمهارة والقدرة على الخطابة وإثارة مشاعر الدهماء ومتسلحا كافيا بالتعليم؟وهذه الحاجة هي التي اخذ السوفسطائيون على عاتقهم إشباعها.فأخذوا يطوفون باليونان من مكان إلى آخر،فألقوا المحاضرات واتخذوا لهم تلاميذ ودخلوا في مجادلات وحصلوا مقابل هذه الخدمات على أجور باهظة؟

لم يكن السوفسطائيون فلاسفة بالمعنى الفني فهم لم يتخصصوا في مشكلات الفلسفة،وكانت نزعاتهم عملية تماما وهو يعلمون أي موضوع مهما يكن عندما تكون هناك حاجة شعبية لتعلمّه...لقد وصف السوفسطائيون على أنهم معلموا فضيلة ،والوصف الصحيح بشرط أن تفهم كلمة الفضيلة بمعناها اليوناني حيث لا تقتصر على الأخلاقيات فحسب.فهي تعني عند اليونان قدرة الشخص على أن يؤدي بنجاح وظائفه في الدولة.ولقد أخذ السوفسطائيون على عاتقهم أن يدرّبوا الناس على الفضيلة بهذا المعنى لجعلهم مواطنين ناجحين وأعضاء ناجحين في الدولة.[97]

ففلسفتهم ذات أهداف عملية بالدرجة الأولى،فهم أولا:يهدفون من تعليمهم وتعاليمهم إلى جني الربح كأجر مقابل قيامهم بالتدريس.وثانيا:قد جعلوا من الجدل والخطابة ومجمل الامكانيات العقلية،من أجل الطموح السياسي لمن يتقنها.هم إذن بلا نزعة علمية أصيلة.فقد عزف السوفسطائيون عن العلم والعالم الطبيعي،عن الفيزياء والميتافيزيقا وجعلوا الإنسان محورا ومقياسا لكل شيء من وجود ولا وجود و معرفة.[98]

---

[96] عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ص 587.

[97] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 78،79.

[98] :يمنى طريف الخولي:فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،2000م،ص114.

لقد كانت السوفسطائية برأي الفيلسوف الألماني"كارل ياسبرز":نقطة تحول في التاريخ البشري..كانت هي أعظم النقاط تأثيرا في تشكيل البشرية...فمعهم ظهر مذهب الشكاك والتساؤلات الجذرية.إن عدة أمور عظيمة قد حدثت...فها هنا توجد جذور العقلانية Rationalismوجذور الوجودية معا،وجذور عدم التدين جنبا إلى جنب مع الصور العليا للدين.إن الجديد في هذا العصر هو أن الإنسان أصبح على وعي بالوجود ككل،وعلى وعي بذاته وحدوده. أصبح السؤال عن الذات البشرية هو منهج الفلسفة ومعرفة هذه الذات هي غاية الفلسفة..."[99]

ولم يكن اسم السوفسطائية في بداية الأمر يفيد أي معنى سيء وإنما كان يعني المعلم والحكيم لذلك فقد عدّت فلسفتهم ثمرة للحياة الديمقراطية في أثينا وتعبيرا قويا عنها.ويتبيّن هذا في تأكيدهم على أهمية الفرد واعتباره نقطة البداية في كل نظرية فلسفية.

وخلاصة القول أن فلسفة السوفسطائيين إنما تعد حلقة اتصال في غاية الأهمية بالنسبة لتاريخ الفلسفة اليونانية،ذلك لأنهم نقلوا مشكلة البحث من عالم الطبيعة إلى عالم الأخلاق والسياسة فكانوا أول من أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض.كما عكست فلسفتهم الاتجاه الجديد في السياسة والاجتماع وعدت بذلك دعوة إلى تنوير المجتمع اليوناني مثلما حدث مع فلاسفة التنوير في القرن الثامن عشر في فرنسا مع فولتير و ديدرو. [100]

ثالثا:أهم مشاهير السوفسطائية

1-بروتاجوراس الأبديري: يعد بروتاجوراس أشهر السوفسطائيين ومن أوائلهم عاش في النصف الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد. ولقد ولد في أبديرا عام 480 ق.م ويقال :إنه ازدهر حول عام 441ق.م.وهو مواطن مدينة أبديرا مدينة ديمقريطس.ويقول عنه "ديوجين اللائرسي:إنه تتلمذ على يد ديمقريطس فقد كان في بدء حياته يحمل الحطب و أن ديمقريطس أعجب به وعلّمه الفلسفة .

وقد بدأ بروتاجوراس يحترف التعليم في سن الثلاثين،فطاف بلاد اليونان واستطاع أن يجمع ثروة طائلة على مدى الأربعين عاما التي علّم بها.وزار أثينا مرات عديدة واستعان به "بريكليس في مسائل تشريعية هامة وطلب منه وضع دستور لمدينة ثوريوم Thourium.

وقد اتهم بوتاجوراس في أثينا بالتحلل والإلحاد وهذا يستند إلى كتاب ألفه عن موضوع الآلهة،وقد بدأه بهذه الكلمات:"أما بالنسبة للآلهة فإنني عاجز عن القول ما إذا كانت موجودة أم لا وعلى أي شكل تكون لأن أسباب الجهل بهذا الأمر كثيرة أولها غموض الموضوع وثانيها قصر الحياة ".وقد دعا المنادي بالمدينة جميع الذين اشتروا كتبه أن يجلبوها إلى السوق لكي تحرق.[101]وقد أحرق هذا الكتاب علنا وهرب بروتاجوراس من أثينا إلى صقلية لكنه غرق وهو في طريقه حوالي عام 410ق.م.

أما أشهر نظرياته فهي نظرية النسبية في **الأخلاق**، وهو صاحب المقولة الشهيرة« الإنسان هو مقياس الأشياء جميعا، مقياس ما هو موجود فيكون موجودا، ومقياس ما ليس موجودا فلا يكون موجودا. » وهذا القول يلخص كل تعاليم فلسفته في الأخلاق والمعرفة وغير ذلك.إن تعاليم بروتاجوراس تقوم على إنكار التفرقة بين الحس والفكر التي أقامها الفلاسفة الأيونيون الأوائل،وذلك عندما قالوا إن الحقيقة القصوى للأشياء هي الوجود المحض الذي لا يعرف إلا بالعقل،والحواس هي التي تضللنا.ولهذا يقول بروتاجوراس فإذا كان علينا أن نتبيّن

---

[99] كارل ياسبرز:أصل التاريخ وغايته،ترجمة ميتشيل بولك، 1953م، ص 2.نقلا عن :جون ماكوري:الوجودية،ترجمة:إمام عبد الفتاح إمام،مراجعة:فؤاد زكريا،عالم المعرفة،الكويت،العدد 58، 1982 ص،54،49.

[100] أمير حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان،ص 121،118.

[101] جورج سارتون:تاريخ العلم" الكتاب الأول العلم القديم في العصر الذهبي لليونان،الجزء الثاني،ص 64.

هذا فعلينا أولا وقبل كل شيء أن نفهم العنصر العقلي كلي، والإحساس هو العنصر الجزئي في الإنسان.أولا العقل عنده القدرة على التوصيل ،والإحساس ليست عنده هذه القدرة.إن حواسي ومشاعري شخصية بالنسبة لي و لا يمكن نقلها إلى الناس الآخرين. فمثلا، لا يستطيع إنسان أن ينقل إحساس الحمرة إلى إنسان عنده عمى ألوان لم يسبق له أن جرّب إحساس اللون الأحمر. لكن الفكرة العقلية يمكن توصيلها إلى أي كائن عاقل.[102]إن حواسي شخصية وخاصة بي وهي لا تقيد أحدا عداي،وان انطباعاتي عن أي شيء ليس قانونا مفروضا على أي إنسان سواي.غير أن عقلي أشارك به جميع الكائنات العقلية الأخرى،إنه ليس قانونا لي فحسب،بل للجميع.إنه عقل متماثل عندي وعند الآخرين ولهذا فإن العقل هو العنصر الكلي والإحساس هو العنصر الجزئي.وهذه التفرقة هي عينها التي يرفضها بوتاجوراس من الناحية العملية.وهو يقصد بمقياس جميع الأشياء مقياس حقيقة الأشياء كلها،إن كل إنسان فرد هو مقياس ما هو حقيقي بالنسبة له،وليست هناك سوى إحساسات وانطباعات كل إنسان.وما يبدو صادقا بالنسبة لي صادق بالنسبة لي،وما يبدو صادقا بالنسبة لك صادق بالنسبة لك.[103]

أما عن نظريته في المعرفة:فقد نسب إليه أفلاطون في محاورة "ثياثيتوس"نظرية حسية في المعرفة والتي تنتهي إلى إنكار وجود الحقيقة الموضوعية،بحجة أن كل ما يبدو للفرد حقيقي بالنسبة له ولا يوجد معيار ثابت يمكن الرجوع إليه لتصحيح المعرفة.فإحساسات الإنسان تختلف دائما بحسب حالاته و لأن المحسوسات ذاتها في تغير مستمر.ومثل هذه النظرية تنتهي إلى الشك غير أنه يمكن في تفسير آخر ألا تنهي إلى الشك في إمكانية الوصول إلى حقيقة وذلك إذا لم تفسر كلمة الإنسان بمعنى الفرد وإنما النوع البشري فما يبدو للبشر موجودا فهو موجود وما لا يبدو كذلك لا يكون موجودا.فالحقيقة بالنسبة لبروتاجوراس متغيرة ونسبية خاصة.وهو الذي ذهب إلى أن الفضيلة ليست علما وإنما تعلّم.وهذا القول تترتب عنه أن الفضيلة مكتسبة.فالإنسان برأيه لا يملك بالطبيعة شيئا من الفضائل وإنما يحتاج لمن يعلّمه، يقول في هذا المعنى:"إن العدالة ليست ثمرة للطبيعة ولا المصادفة ولكنها تعلّم والناس يحوزونها بالممارسة".[104]

فقد كان بروتاجوراس يؤمن بقول هيراقليطس بالتغير الدائم،وكان يشك في المعرفة بوصفها معرفة كلية ثابتة موضوعية غير متأثرة بالأفراد.ومن هنا كان من الممكن أن تختلف الأشياء باختلاف الناظرين إليها،وهذا الاختلاف لا يعبر عنه أحسن تعبير إلا في الخطابة.

بدأ بروتاجوراس من مذهب هيراقليطس،لكنه لم يقل بكل هذا المذهب كما هو في كل جزئياته،بل قال فقط بالفكرة الرئيسية السائدة فيه وهي أن الوجود دائم السيلان، وهذا ما يطرح إشكالية الهوية باعتبارها"... مصدرا من مصادر التعقيد الفلسفي ،فكيف يمكنني أن أظل نفسي ما دمت أتغير؟كيف يمكن أن يقال إني مازلت أنا إذا جرى التبديل الكامل لجوهري المادي الذي يجري كل بضع سنوات ،وإني باق أنا لمدة أطول ؟" [105]فقال بروتاجوراس إن الطبيعة كلها في تغير دائم وتغير بين أضداد،والضد الواحد ينتقل إلى الضد الآخر دائما وباستمرار ولا يمكن أن يطلق على شيء صفة معينة بل الصفة المعينة الوحيدة للأشياء هي انتقالها من الضد،وعلى هذا لا يمكن أن يقال عن الشيء إنه هو كذا،بل يقال باستمرار إنه يصير كذا،أي أن فعل الكينونة أو الوجود يجب أن يستبدل به فعل الصيرورة والتغير.وهذا التغير على نوعين:فعل،وانفعال.فهذا الشيء يفعل في الشيء الآخر،والشيء الآخر يكون منفعلا بالشيء الأول،والإحساس يتم حينئذ دائما أبدا بين الشيئين المتضادين اللذين هما في انفعال وفعل.فالإحساس إذن حين يدرك إنما يدرك هذا التضاد وهذا التغير

---

[102]وولتر سولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 80،81.انظر أيضا:أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان، ص 122.

[103]وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 81.

[104]أميرة حلمي مطر:تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 124، 123.

[105]ويلارد فان أورمان كواين :من وجهة نظر منطقية "تسع مقالات منطقية فلسفية"،ترجمة:حيدر حاج إسماعيل،مراجعة: يوسف تيبس، الطبعة الأولى ،المنظمة العربية للترجمة،بيروت لبنان،سبتمبر 2006م ،ص 135.

المستمر،والإحساس تبعا لهذا متغير بتغير الأفراد،وذلك لأن كل فرد يتصور هذا التغير من وجهة نظره الخاصة وعلى طريقته،والصفات المختلفة هي من وضع الإنسان ولا يمكن أن يقال أن لها وجودا حقيقيا في الخارج،وتبعا لهذا فالمعرفة الحسية هي معرفة متصلة بالأفراد ومعتمدة عليهم.[106]

2-جورجياس

عرض جورجياس مذهبه في كتاب كتبه عن" الطبيعة ،أو اللاوجود"،فقال فيه بقضايا ثلاث:

1-لا شيء يوجد

2-أنه حتى ولو وجد شيء، فإن هذا الشيء لا يمكن أن يدرك أو يمكن معرفته.

3-حتى لو أمكن معرفته أو إدراكه فإنه لا يمكن أن يعبر عنه و يوصل إلى الغير.

ومن أجل البرهنة على قضاياه عمد إلى طريقة زينون الإيلي في المحاجة.أما القضية الأولى وهي أنه لا شيء موجود فيثبتها كما يلي:إذا كان هناك شيء ما،فإن هذا الشيء إما أن يكون موجودا وإما أن يكون لا موجودا، وإما أن يكون الاثنين معا .فإن كان لا موجودا،فإن الشيء الواحد سيتصف بصفة ونقيضها،وهذا محال.وذلك لأن اللاوجود معناه عدم الوجود كما أن معناه من ناحية أخرى أن اللاوجود موجود،وعلى هذا فسيتصف الشيء بصفة ونقيضها،وهذا محال.ثم إنه إذا أعطينا الوجود للاوجود فإن ذلك يتم بأن نسلب الوجود وجوده لكي نضع هذا الوجود للاوجود،وهذا محال لأنه لا يمكن أن نسلب عن الوجود الوجود،وإذا فهذا الشيء لا يمكن أن يكون موجودا.

وثانيا:لا يمكن هذا الشيء أن يكون موجودا:لأنه إذا كان موجودا فإنه يلاحظ أولا أنه إما أن يكون قديما،وإما أن يكون حادثا.فإذا قلنا إنه حادث فمعنى هذا أنه حدث عن شيء آخر.وهذا الشيء الآخر سيكون العدم، فيكون الوجود إذن ناشئا عن العدم.وهذا مستحيل.أما إذا قلنا إنه نشأ عن الوجود فهذا أيضا مستحيل ،لأنه كيف يصير الوجود وجودا؟وذلك لأن التغير معناه الانتقال من حالة إلى أخرى.هذا وإذا قلنا إنه حادث عن لاوجود،وهذا اللاوجود موجود،فإننا سنقع إذن في نفس الخطأ من حيث أن هذا اللاوجود الموجود سينطبق عليه نفس الكلام عن الوجود بحسبانه صادرا عن الوجود.وإذا كان قديما فمعنى هذا أنه لا ابتداء له وما ليس له ابتداء هو اللامتناهي، واللامتناهي لا يمكن أن يوجد في غيره، وإلا لم يكن لامتناهيا،كما لا يمكن أن يوجد في نفسه،وعلى ذلك فإذا كان الوجود قديما فإنه سيوجد لا في محل (في غير مكان) والشيء الذي يوجد لا في محل لا يمكن أن يكون موجودا،وعلى ذلك فسواء أكان هذا الشيء موجودا قديما أم محدثا فإنه لا يمكن أن يكون موجودا.[107]

---

[106] عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة، الجزء الأول،ص 589،590.

[107] عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ص591.

المحور السابع سقراط (449-399 ق.م)

وسط انهيار مثل الحقيقة والأخلاقيات من جراء السوفسطائيين ظهرت في أثينا شخصية سقراط الذي قدر عليه أن يستعيد النظام من وسط الفوضى وإدراج السوسة في الحياة الثقافية المفككة في ذلك العصر.

حياته: سقراط فيلسوف يوناني ولد في أثينا حوالي سنة 470ق.م وكان أبوه سفرونيسقوس soprroniscus وأمه فيناريتphaenarete ، التي كانت قابلة " مولدة" كما تشـــير إلى ذلك محاورة تيتاتوس لأفلاطون.درس سـقراط فلسـفة أرخي لاوس ، وذيوجانس أل أبولوني،و أنبادوقليدس وغيرهم. وقد أعجب أيما إعجاب بقول انكسـاغوراس أن العقل هو علة النظام والقانون في العالم. فدعاه ذلك إلى التخلي عن الأبحاث الكونية والاتجاه إلى البحث في الإنسان.[108]

لا يعرف إلا القليل عن بدايات حياته وتربيته فيما عدا أنه اشـــتغل بوظيفة أبيه كمثآل.كرس حياته لما اعتبره رســـالته في الحياة ألا وهي الفلســفة ،ولقد أمضــى حياته بالكامل في أثينا ولم يغادرها إطلاقا ســوى لفترات قصــيرة في ثلاث مناســبات عندما جنّد في الحملات العسكرية في الجيش الأثيني.

ولم يشيد سقراط أية فلسفة أي انه لم يشيد مذهبا نسقيا في الفلسفة وهو مؤلف نزعات فلسفية ومنهج فلسفي ولم يخضع آراءه للكتابة وطريقته في التفلسف قائمة على الجدال وكانت عادته أن يتوجه إلى السوق في أثينا يوميا أو أية بقعة يتجمع فيها الناس وهناك ينخرط في النقاش مع أي شخص مستعد للتحدث معه عن المشكلات العميقة للحياة والموت،ولم يكن يتقاضى أجراكما يفعل السوفسطائيون وظل دائما إنسانا فقيرا.

عندما بلغ سن السبعين حوكم بثلاث تهم:

1-إنكار الآلهة القومية.

2-تنصيب آلهة جديدة خاصة به.

3-إفساد الشباب. [109]

ونودّ أن نشير إلى أن سقراط لم يكتب كتابا فلسفيا ،وإنما وصلت إلينا فلسفته من مصادر ثلاثة أو أربعة كما تشير إلى ذلك الدراسات التاريخية،وهذه المصادر هي: أرسطوفان واكزينوفون وأفلاطون وأرسطو.وما هو ملاحظ هو أن المحاورات التي يجريها أفلاطون على لسان سقراط عن آرائه أثارت معضلة كبرى: هل تعبر عن فلسفة سقراط أم فلسفة أفلاطون؟فإن كانت هي آراء سقراط حقيقة، فما وجه نسبتها إلى سقراط؟[110] ولهذا عدّ سقراط من أصعب الشخصيات التي يستطيع الإنسان تقديرها.وذلك لاختلاف الصور التي أعطاها أفلاطون

---

[108] عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ،ج1 ، ص576

[109] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 90،93.

[110] محمد عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،منشورات عويدات للنشر،بيروت،ص94 وما بعدها.

وأرسيتوفان واكزينوفون عنه.ومع هذا فقد اشتهر بين شباب أثينا بقدرته التحليلية الدقيقة ،وبمهارته في سبر غور المشكلات العميقة ،وباهتمامه بكثير من مجالات المعرفة. [111]

لقد كان سقراط يسأل أسئلة ذات مغزى عن مستقبل أثينا وعن الطبيعة العامة للعدالة والحق والخير والجمال.فقد شغله الحوار عن كل الأشياء ،واستغراق حديثه مع الناس ومناقشته لآرائهم كل وقته،ولم يترك سقراط مسألة إلا وحاور فيها، فقد تناول السياسة العامة والآراء الشائعة في عصره،والمبادئ الخلقية ونظام ا لحكومة وأساليب التربية والغرض منها، والموت وما بعده، والنفس وما أعدّ لها من نعيم مقيم أو عذاب أليم.[112]

ثانيا: فلسفته:

قدم سقراط الأسس الأولى للمذهب المثالي الذي سار عليه أتباعه من بعد، وخاصة تلميذه أفلاطون الذي استطاع أن يستخرج من هذه الأسس والمبادئ النتائج المترتبة عليها وأن يعممها على مختلف مجالات الفكر الفلسفي التي لم يطرقها سقراط.والتعاليم السقراطية أخلاقية في جوهرها،وفي هذا يكمن التشابه بينه وبين السوفسطائيين.فهو مثلهم ينحي جميع المشكلات المتعلقة بأصل العالم أو طبيعة الحقيقة المطلقة.لقد اعتقد سقراط أن الرياضة والفلك ليست أشكالا ذات قيمة للمعرفة.[113]

غير أن أشهر ما قيل عن فلسفة سقراط هي العبارة التي ردّدها سيشرون والتي مفادها" أن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض وأدخلها المنازل وجعلها تسوس أفعال البشر".[114]

ومنه فقد نجح سقراط فعلا في توجيه الفلسفة من البحث في الطبيعة إلى البحث في النفس الإنسانية، واتخذ من عبارة معبد دلفي" **أعرف نفسك**" شعارا لكل فلسفته، فلا عجب أن عدّه مؤرخو الفلسفة المؤسس الأول للفلسفة الأخلاقية.[115]

لقد أراد سقراط بتعاليمه أن يصلح ما أفسده السفسطائيون وأن يعيد إلى العقول ثقتها بالحقيقة والمعرفة وإيمانها بالفضيلة والخير، وآمن أن الفضيلة لا تكون إلا بالعلم، فجعل هدفه الأول أن يهدي إلى الفضيلة عن طريق العلم والمعرفة، ومن أجل هذا عزف عن الفلسفة الطبيعية التي كان يعني بها من قبله، ولاسيما الفلاسفة الطبيعيون من أمثال طاليس، وأنكمساندرس...وغيرهما.

وعلى هذا الأساس استبدل سقراط البحث من النظر في الإنسان بالبحث في الطبيعة؛ بمعنى أنه حوّل النظر من الفلك والعناصر إلى النفس البشرية،وتدور الأخلاق عنده حول محور واحد هو ماهية نفس الإنسان.[116]

ولما كان السفسطائيون يذهبون إلى أن الطبيعة الإنسانية شهوة وهوى، وأن القوانين إنما وضعها المشرعون لقهر الطبيعة، وأن هذه القوانين متغيرة بتغير العرف والظروف، فهي بذلك نسبية وغير واجبة الاحترام لذاتها.ومن حق الرجل القوي بالعصبية أو بالمال أو بالبأس، أن يستخف بها وأن ينسخها ويتمشى مع الطبيعة.

---

[111] .وهبت إبراهيم سمعان: الثقافة والتربية في العصور القديمة،دار المعارف بمصر،1961،ص266.

[112] صالح عبد العزيز: تطور النظرية التربوية ،ط2، مزيدة ومنقحة، دار المعارف بمصر، 1964،ص123

[113] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 98،99.

[114] أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار المعارف بمصر، 1988، ص145.

[115] المرجع نفسه.ص145-146.

[116] عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ،ط4 دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان،1981،ص59

وعلى العكس من ذلك رأى سقراط أن الإنسان روح وعقل يسيطر على الحس ويعقله، وأن القوانين العادلة صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحقة، وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمتها الآلهة في قلوب البشر، فمن يحترم هذه القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الإلهي.[117]

كما خالف سقراط السوفسطائين في مسألة أن الفرد هو مقياس كل شيء، وإنكارهم الحقائق العامة، إذ ذهب السفسطائيون إلى أن الحواس هي وحدها السبيل إلى وصل المعلومات إلى الذهن، فالإدراك الحسي هو أساس المعلومات جميعا.ولما كان هذا الإدراك الحسي يختلف باختلاف الأشخاص كانت المعلومات التي تجيء عن طريقه مختلفة كذلك، وإذن فلسنا نعرف من الحقيقة إلا هذه الصورة المختلفة التي تقدمها إلينا الحواس.فكانت رسالة سقراط أن يبني تحصيل المعرفة على العقل لا على الحواس، وبذلك يثبت ما أنكره السفسطائيون من وجود الحقائق الثابتة في الواقع الخارجي، لأن العقل عام مشترك عند جميع الناس، فالعقل هو الذي يجمع الظواهر والصفات الذاتية دون الأعراض والمشخصات،وهو أمر عام يشترك في فهمه الناس جميعا.وهذه المعاني الذهنية هي حقائق الأشياء التي أنكرها السوفسطائيون وهي حقائق ثابتة... تنطبق على كل الأفراد وتصلح لكل الأزمان وتقاس بها أعمال الإنسان.[118]

وهكذا اتجه سقراط إلى سبر غور الروح الإنسانية، يستطلع الافتراضات، ويستجوب اليقينيات،وإذا تحدث الناس عن العدالة كان يسألهم بهدوء،ما هي هذه العدالة ؟ وماذا تعنون بهذه الكلمات المجردة التي تحلّون بها بهذه السهولة مشاكل الحياة والموت؟ وماذا تعنون بكلمة الشرف، والفضيلة، والأخلاق والوطنية؟ وماذا تعني نفسك ؟ لقد أحب سقراط أن يتناول بالبحث والسؤال هذه الأسئلة الأخلاقية والنفسانية.ولقد عانى البعض من طريقة سقراط في السؤال والبحث التي كانت تحتاج إلى تعريف وتحديد محكم صحيح، وتفكير واضح، وتحليل منطقي.

وقد اعترض البعض على طريقته هذه.وقالوا عنه أنه يسأل أكثر مما يجيب.ويترك العقول أكثر اضطرابا مما كانت عليه قبل المحاورة والنقاش أو الحديث،ومع ذلك فقد قدم إلى الفلسفة جوابين ثابتين لسؤالين تناولا مشكلتين من أكثر مشاكلنا تعقيدا، وهما ما هو معنى الفضيلة؟ وما هي أفضل دولة؟[119]

نظريته في المعرفة:عمل سقراط على تأسيس المعرفة على العقل ومن ثم يستعيد للحقيقة كموضوعيتها،وهذا بخلاف السوفسطائيين الذين أقاموا المعرفة على الإدراك المسيء فدمروا بذلك كل معايير الحقيقة الموضوعية.والجدير بالذكر أن المعرفة عند سقراط لم تكن في حد ذاتها غاية،بل كانت من أجل غاية أعلى هي الفضيلة.والفضيلة معرفة ولاشيء سوى المعرفة ومن المؤكد أنها قابلة للتعليم،وأن من يملك هذه المعرفة قادر على توجيه الآخرين فيعرف أو يتعلم كل إنسان ما هو الخير فيتبعه حتما.[120] وكان عمل سقراط هو تأسيس المعرفة على العقل ،والحقيقة عنده علم ،بمعنى أن كل معرفة هي معرفة من خلال المفاهيم.فما هو المفهوم؟عندما نكون واعين مباشرة بوجود أي شيء جزئي،إنسانا أو شجرة أو بيتا أو نجما فإن هذا الوعي يسمى إدراكا حسيا.وعندما نغلق أعيننا نكون صورة ذهنية لمثل هذا الشيء وهذا الوعي يسمى صورة خيالية أو تمثلا.وهذه الصورة الذهنية–مثل الإدراكات الحسية–هي دائما أفكار الأشياء الفردية الجزئية.ولكن بجانب هذه الأفكار للأشياء الفردية سواء عن طريق الإدراك الحسي أو التخيل لدينا أفكار عامة أي لا أفكار أي شيء جزئي بل أفكار الفئات القليلة للأشياء.فإذا قلت "سقراط فان" فإنني أفكر في الفرد سقراط.ولكن إذا قلت:"الإنسان فان" فإني لا أفكر في أي إنسان مفرد بل في

---

[117] المرجع نفسه: ص، ص:59، 60.

[118] صالح عبد العزيز: تطور النظرية التربوية، ص127 وما بعدها.

[119] ويل ديورانت : قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ت:د.فتح الله محمد المشعشع،ط5 منشورات مكتبة المعارف بيروت،1985،ص12

[120][120] يمنى طريف الخولي:فلسفة العلم من الحتمية إلى اللا حتمية،ص 116.

فئة الناس بصفة عامة.مثل هذه الفكرة تسمى فكرة عامة أو مفهوما.وكل فئات الأسماء مثل الإنسان،الشجرة،البيت،الحيوان... الموجود والتي لا تقوم مقام شيء واحد بل عديد من الأشياء تمثل المفاهيم.ونحن ندرك هذه الأفكار العامة بأن ندرج فيها جميع الصفات التي تشترك فيها فئة الأشياء ونستبعد منها جميع الصفات التي توجد في بعض الأشياء،ولا توجد في البعض الآخر:فمثلا،لا أستطيع أن أدرج صفة البياض في فكرتي العامة عن الجياد وذلك لأنه بالرغم من أن بعض الجياد بيضاء فإن البعض الآخر ليست بيضاء ولكنني أستطيع أن أدرج صفة الفقارية لأن جميع الجياد تشترك في كونها حيوانات فقارية.وهكذا فغن المفهوم يتكون بأن أجمع الأفكار التي تتفق فيها جميع أعضاء فئة من الأشياء وأهمل الأفكار التي تختلف فيها.وعليه يكون العقل هو ملكة المفاهيم.

وسقراط وهو يضع المعرفة كلها في المفاهيم إنما يجعل العقل أداة المعرفة وهذا متعارض تماما مع مبدأ السوفسطائيين الذين وضعوا المعرفة كلها في الإدراك الحسي.ولما كان العقل هو العنصر الكلي في الإنسان فإنه سيترتب على التوحيد بين المعرفة والمفاهيم،وتصبح الحقيقة موضوعية ملزمة للجميع ومدمرة للتعاليم السوفسطائية القائلة أن الحقيقة هي ما يختاره كل فرد على أنه حقيقي.وينتهي سقراط إلى أن التعريف يتكون بالطريقة نفسها التي يتكون بها المفهوم بإدراج الصفات العامة لفئة الأشياء واستبعاد الصفات التي يختلف فيها أعضاء الفئة.والتعريف في الحقيقة هو مجرد التعبير عن المفهوم بالكلمات.ونحن بتثبيت التعريفات نحصل على معايير موضوعية للحقيقة.إذن هذه هي نظرية المعرفة عند سقراط.والتي يقول فيها أن المعرفة ليست هي إحساسات الفرد والتي تعني أن كل فرد يستطيع أن يعين الحقيقة كما يريد،بل المعرفة عنده تعني المعرفة بالأشياء كما هي على نحو موضوعي في استقلال عن الفرد ومثل هذه المعرفة هي معرفة بالمفاهيم.لهذا فإن تفلسف سقراط يقوم أساسا على محاولة تأطير المفاهيم الحقة.فقد أطلق سقراط يتساءل:" ما هي الفضيلة؟"،"ما هي الحصافة؟"،"ما هي العدالة؟" وهو لا يقصد إلا المفاهيم الحقة أو التعريفات لهذه الأشياء.[121]

نظريته في الفضيلة:

يرجع أرسطو تعاليم سقراط الأخلاقية إلى ثلاث مبادئ :

(أ) الفضيلة (الخير) هي المعرفة.

(ب) الرذيلة(الشر) هي الجهل .

(ت) وعلى ذلك يكون الشر دائما عملا غير إرادي. [122]الفضيلة في نظر سقراط علم، كما أن الرذيلة جهل، والإنسان يريد الخير دائما ويهرب من الشر بالضرورة، فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو إنسان أراد ذلك الخير حتما؛ أما الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره،ولا يعقل أنه يرتكب الشر عمدا.ومن هنا تتبين مبلغ إيمان سقراط بالعقل، وحرصه على المعرفة في سبيل الوصول إلى الفضيلة.[123]

ومنه فالرجل الذي لا يعرف الخير لا تستحق أعماله أن تعدّ فاضلة، فبخلاف أنصار التربية القديمة الذين يرون أن مصدر الفضيلة هو التعوّد على الأعمال الصالحة، ذهب سقراط إلى أن الفضيلة من الأشياء التي تؤخذ بالتلقين، وأن الواجب تلقينها للمتعلمين.ولم يقف سقراط عند هذا الحد، بل اعتقد جازما أن الإنسان لا يستطيع أن يعمل الخير إلا إذا عرف ما هو الخير، بمعنى إذا عرف الإدراك العقلي لماهية الخير.[124]

---

[121] وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 99،101.

[122] ألفرد تيلور:سقراط،ترجمة:محمد بكير خليل،مراجعة:زكي نجيب محمود،مكتبة نهضة مصر،القاهرة،1962،ص 117وما بعدها.

[123] عبد الله عبد الدايم:التربية عبر التاريخ ،ص60

[124] صالح عبد العزيز: تطور النظرية التربوية، ص128 وما بعدها

ولما كان العلم أساس الفضيلة، فهو وسيلة للسعادة إذن، ومن ذلك يتبين في نظر سقراط أنه يكفي أن يعلم الإنسان ما هي الفضيلة حي يكون بمنجاة من فعل الرذيلة، وكل عمل شر إنما يصدر عن الجهل بالفضيلة، لأن الإنسان لا يسعه إذا عرف الخير أن يفعل شرا يقول سقراط:" لا يمكن أن يتعمد الإنسان الوقوع في الشر إذا ارتكبه، فلأنه لا يعرف ماهية الخير تراه يقع في فعل الشر". والخلاصة أن سقراط قد ذهب إلى أنه "لا فضيلة إلا بالمعرفة"[125] وأن الحياة الحقيقية إنما هي الحياة التي تستضيء بنور العقل وتهتدي بهداه.وبالتالي فالسلوك الخلقي إنما هو ذلك السلوك الذي يعتمد على المعرفة والتفكير، وهكذا فالفضيلة تتضمن معنى العلم، والعلم ينطوي على الفضيلة.[126]

طريقته في التفكير " الحوار"

لعل أكثر ما ساهم به سقراط أهمية في الناحية التربوية هو **طريقته في التدريس** وفي البحث عن المعرفة، ومفهومه عن دور المعرفة في السلوك.**فالطريقة السقراطية** كما عرفت منذ أيامه،**هي طريقة المناقشة والمحادثة والسؤال والجواب**،إذ كان سقراط في مناقشاته يصر دائما على التعبير الدقيق عن الألفاظ والمسائل موضوع المناقشة.كما كان يهدف إلى توضيح مفاهيم هذه العدالة والحق والجمال التي كان الناس يستخدمونها، ويحاول أن يرى ما تعنيه هذه المفاهيم عند تطبيقها تطبيقا عمليا. [127]

وانطلاقا من هذا فقد كان لسقراط طريقة خاصة في التفكير والمناقشة ألا وهي **طريقة الحوار** التي عرفت بالطريقة السقراطية أو كما يسميها البعض بالطريقة الحوارية.هذه الأخيرة تقوم على دعامتين أو على مرحلتين:

المرحلة الأولى: **مرحلة التهكم**

المرحلة الثانية:**مرحلة التوليد(توليد الأفكار)**.

أما عن طريقة التهكم السقراطي فإن غرضها هو محاربة الخطأ ودحض للآراء الخاطئة، إذ يلجأ سقراط إلى ما يسمى بالتهكم: يلقي سؤالا وكأنه راغب حقا في التزود من العلم، جاهل بالجواب(وهذا ما يعرف بتجاهل العارف)، فإذا ما أجيب جوابا خاطئا، لم ينكره ولم يعترض، بل يتظاهر بالموافقة على أفكار خصمه وآرائه كما يضطره بأسئلته الماهرة المسترقة.أن يقول جميع رأيه، وينشر كل مدى حماقته ويقود بالتالي إلى نتاج متناقضة، مخالفة للمنطق والعقل، يفقد معها المتحدث قدرته، فيرتج عليه ويفحم ويعترف بخطئه. **128**

إضافة إلى ذلك فإن هذه الطريقة كانت تمكن سقراط من أن يزعزع ما في نفس صاحبه من اليقين الذي يعتقده والذي لا أساس له، في هذه الطريقة كان سقراط يدور حول المباحث الفلسفية في هوادة وتأن، وما يزال يدور حولها حتى يجد مسلكا ينفذ منه إلى نتيجة يريدها.فهو يتجول في شوارع أثينا مدعيا الجهل،وأن شعوره بالجهل أو بجهله يدفعه إلى أن يلتمس المعرفة من أهلها،إذ كان ينتهز الفرص ليتحدث في المشكلة التي يريد بحثها مع صاحبه فيحاور ويناقش حتى يبين لصاحبه خطأه،وما يزال سقراط في حواره هذا حتى ينتهي إلى حقيقة ثابتة لا تحتمل الشك ولا النقد ولا الجدل،ومن ثم يصل سقراط مع صاحبه إلى مرحلة توليد الأفكار.[129] لقد كان أسلوب سقراط في الحوار يبدو للمحاور كما لو كان يريد أن يسخر منه بهذه الطريقة غير المباشرة،وهذا ما عرف باسم التهكم السقراطي l'ironie socratique.[130]

---

[125] صالح عبد العزيز: تطور النظرية التربوية، ص128 وما بعدها.

[126] محمد عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ،ص104

[127] وهبت إبراهيم سمعان: الثقافة والتربية في العصور القديمة،ص 227.

[128] عبد الله عبد الدايم:التربية عبر التاريخ ،ص61 وما بعدها.

[129] صالح عبد العزيز: تطور النظرية التربوية ،ص131.

[130] عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة،ج1،ص578

ومن النماذج التي عاشها سقراط مع محاوريه في طرحه للأسئلة التي تنتهي بمحاوره في النهاية إلى إدراك جهله،نورد تلك المناقشة التي أوردها كيسنوفون بين سقراط والشاب المدعي" جلوكون بن أريستون"، إذ لم يكن جلوكون قد تجاوز العشرين من عمره بيد أنه بدأ يتوق للوصول إلى مناصب الحكم،ولما لم تجد محاولات والده وأصدقائه في شفائه من داء الغرور والادعاء الذي أثار عليه السخط العام،تدخل سقراط إشفاقا عليه وإكراما لأخيه أفلاطون،بدأ يوجه له الحديث الذي انتفخت له أوداج جلوكون في بادئ الأمر،ولكن لم يكد سقراط يسترسل معه في الحوار حتى انتهى الحديث بادرا جلوكون لجهله بكل أمور الاقتصاد والحرب وهي من ألزم شروط السياسة واعترافه بأن سقراط إنما كان يتهكم منه.[131]

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التوليدla maïeutique التي استعار سقراط لفظتها من صنعة أمه "فايناريت"كان سقراط في هذه المرحلة يبيّن لصاحبه مقدار عجزه عن كشف الحقيقة عن طريق الحوار مع الآخرين نعرض استخراج ما في أذهانهم من مفهومات عن الأمور ،خصوصا عن الأمور الأخلاقية ، وعليه فسقراط يستخرج المعاني من عقول الناس ويحكم عليها، بالصحة أو البطلان.[132]

يقول سقراط في هذا الصدد ما يلي:

« سقراط:هذا إذن هو عمل القابلات،أما عملي فإنه أوسع منه مدى.ذلك أن النساء لا يملكن أن يضعن حينا ما هو وهم،وحينا آخر ما هو مولود حقيقي،حيث لا يكون من السهل التمييز بين الحالين.وإذا حدث وكان هذا هو الأمر،فإن أكبر وأهم مهمة تقوم بها القابلات تكون أن يصدرن حكما بحقيقة الحمل أو كذبه.هل أنت من هذا الرأي؟

ثياتيتوس:نعم،أرى ذلك.

سقراط:أما فن التوليد الذي يخصني أنا فإن له،من جهة،نفس خصائص فن التوليد عند القابلات،ولكنه،من جهة أخرى،يختلف عنه في أنه يولّد الرجال لا النساء،وفي أنه يعتني بما تلده النفوس وليس بما تلده الأجساد .وإن أعظم ما في ذلك النفس الذي أمارسه أنا هو أنه قادر على اختيار هل يلد عقل الفتى وهما وكذبا أم شيئا خصبا وحقيقيا،وذلك بكل طرق الاختبار.وإنني لأحوز أنا الآخر نفس الصفة التي لدى أولئك القابلات:أنني غير قادر على إنجاب المعرفة،وما يلومونني عليه الكثيرون من قبل بالفعل، من أنني أقتصر على سؤال الآخرين،بينما لا أعلن شيئا باسمي حول أي شيء لأنني لا أحوز المعرفة،هذا اللوم هو عن حق.وهاك العلة في هذا:إن التوليد مهمة فرضها عليّ الإله،أما الإنجاب فإنه عاقني عنه.فلست أنا نفسي، إذن، عالما في أي أمر على الإطلاق، كما أنني لم أتوصل إلى اكتشاف يكون من إنجاب نفسي أنا.أما هؤلاء الذين يصاحبونني، فإنهم يبدون لأول وهلة جهلاء لا يعلمون شيئا، وبعضهم هو كذلك على نحو تام.ولكن هاهم أولاء جميعا،بفعل صحبتهم معي،وبقدر ما يسمح لهم به الإله،يحرزون تقدما على نحو مذهل،وذلك بحسب ما يرون وما يحكم به الآخرون كذلك.وإنه لمن الواضح أنهم لم يتعلّموا مني شيئا على الإطلاق،بل إنهم ومن داخلهم توصلوا إلى مكتشفات كثيرة وجميلة وأخرجوها إلى النور.[133]»

لقد كان سقراط يؤمن أن الفكر البشري قويم بطبعه قادر على أن يكتشف بعض الحقائق من تلقاء ذاته،إذا عرفنا كيف نقوده وننبهه.لهذا كان يلجأ إلى ما لدى المتحدث من عفوية،ويسير به رويدا رويدا،خطوة فخطوة إلى الرأي الذي يود أن يلقيه له.إنه يود في كل هذا أن يولد

---

[131] أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، ص148.

[132] عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة،ج1،ص577.

[133] أفلاطون:في العلم(محاورة"ثياتيتوس")ترجمها عن النص اليوناني :عزت قرني،الطبعة الأولى،لجنة التأليف والتعريب والنشر،جامعة الكويت،2002م،ص 85،86.

النفوس ويشهد مخاض الأفكار.[134] لأن سقراط يعتقد في نظريته في المعرفة أن هذه الأخيرة فطرية في النفس وأن مهمة المعلم أنها تتلخص في مساعدة الآخر على استخراج الكامن عنده وليس إضافة شيء جديد إليه.

وقد أطلق البعض على هذا المنهج القائم على التهكم والتوليد اسم الجدل لأن استخراج الأفكار من النفوس ومحاولة توضيحها بالمناقشة الذاتية أو الحوار الثنائي هو ما يعرف باسم الديالكتيك أو الجدل. والحقيقة هي قبل كل شيء فكرة والفكرة لا يمكن أن تتضح إلا بالجدل؛ أي بالتحليل النقدي لكل جوانبها.فالجدل في الفلسفة السقراطية الأفلاطونية لا يتناول الأشياء أو الوقائع و إنما يتناول التفسيرات المختلفة لها،أو العبارات التي تقال عنها ومواجهة هذه التفسيرات أو الأقوال ببعضها يؤدي إلى اكتشاف التناقضات التي يمكن أن تنطوي عليها الفكرة وهذا الكشف هو جوهر المنهج الجدلي.[135]

ومن هذه الطريقة السقراطية نرى كيف كان سقراط يولد الأفكار،إن هذا هو ما دفعه إلى القول" بأنه كان يولد الأفكار من محاوريه كما كانت أمه تولد الجنين من الحوامل" والواقع أن أساس طريقته هو العمل على كشف الحقائق والعلم بها، وعمل الفيلسوف حينئذ ليس هو تعليم الإنسان ما لم يعلم، بل هو إعداد الإنسان لكشف الحقائق.

وللطريقة السقراطية محاور ثلاثة متتابعة تمر بها كمراحل:

أولا: مرحلة اليقين: فالذي لا أساس له من الصحة، وهي مرحلة يراد بها إظهار جهل الخصم وغروره وادعائه العلم وقبوله لما يلقى عليه من غير أن يحتكم إلى المنطق والذوق السليم.[136] وقد كانت عادة سقراط أن يبدأ محاوراته باستفهام بسيط عن بعض الأشياء يتمكن بواسطتها من سبر غور أفكار المسؤول، ويتظاهر مبدئيا بقبولها وبالدفاع عنها.

ثانيا: مرحلة الشك: وهي المرحلة التي تتوالى فيها أسئلة سقراط والإجابة عليها حتى يتردى المتكلم ويقع في حيرة لا مخلص منها.بمعنى أن سقراط يتدرج ويلقي أسئلة لبقة يستطيع بها أن يجعل الشخص المسؤول يذكر الحقائق بنفسه وان يرى أن آراءه السابقة قد تعارضت مع الحقائق،ويبدو التناقض في عباراته فيأخذه الغضب،وكان سقراط يقابل ذلك بصبر جميل،ويقود صاحبه إلى صميم الموضوع الذي يدور حوله الجدل.ولا يزال آخذا بزمامه حتى يتملكه الخجل،ويشعر أنه تعرض لشيء لا مجال له فيه.ويوقن بأنه جاهل مغرور،وتشتد رغبته في طلب العلم. في هذه المرحلة يتورط المسؤول في حبائل الجدل فيعترف إما بخطأ رأيه وإما بعجزه عن الوصول إلى نتيجة مرضية.[137]

ثالثا:مرحلة اليقين بعد الشك: وهي مرحلة يقصد منها البحث من جديد في الموضوع ومعرفة الأمثلة التي توضح الحقيقة وتميزها عن غيرها،وملاحظة ما بينها من أوجه الخلاف والوصول إلى تعريف جامع لا يجد الشك إليه سبيلا،وهي مرحلة تقوم على أساس الإدراك العقلي لا على أساس التصديق الساذج.[138]

---

[134] عبد الله عبد الدايم:التربية عبر التاريخ ،ص63.

[135] أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، ص148. 150

[136] صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية، ص132

[137] وهبت إبراهيم سمعان: الثقافة والتربية في العصور القديمة،ص227.

[138] . صالح عبد العزيز : تطور النظرية التربوية، ص132

وعليه فطريقة سقراط تقوم على النقد وتهدف إلى إقناع الناس بجهلهم وإلى اختبار المعايير الخلقية ،وتحطيم المغالاة في الثقة بالنفس،وإلى البحث عن الحقيقة.لقد اعتقد سقراط أن المعرفة ،والمعرفة الحقة ،هي الطريق الصحيح للسلوك الطيب.ومنه فالمعرفة هي الفضيلة ،والفضيلة هي المعرفة ،وهذا يعني أن للتربية هدفها النهائي ،هدف أخلاقي وهو إنتاج أفراد يتميزون بأخلاق فاضلة.[139]

القصة مادة للتربية: تعتبر القصة أحسن وسيلة لتربية الأطفال وتهذيبهم، شريطة أن تبدأ بالموسيقى أولا ثم تتبع بالقصص، و تشترط في القصص الأمور التالية.**أولا**.أن تختار للطفل أجمل القصص حتى نربي فيه تذوق الجمال.**ثانيا**.**ألا تكون القصة مملوءة بالأكاذيب كالقصص التي تروي شن الآلهة الحروب على بعضهم**.

ثالثا:ألا نخلط في القصة بين الحقيقة والمجاز، لأن الطفل لا يقدر على التمييز بينهما.

آثار سقراط في مناهج الدارسة:

كان لفلسفة سقراط تأثير عظيم في التربية،إذ كان غرضه من التربية هو إمداد الفرد بالمعلومات التي تؤثر في نمو قواه المفكرة.

ولقد أثرت فلسفة سقراط في التربية تأثيرا عظيما من ناحيتين :

أولا: لقد وجه سقراط الأنظار إلى الاهتمام بالمادة،بل إنه كان يرى أن العلم خير وسيلة إلى المعرفة ،فأصبح الناس يعظمون من شأن العلم ويتسابقون إلى تحصيله على مثال لم يعهد لهم من قبل.

ثانيا: أن سقراط قد سفّه من آراء السفسطائيين الذين كانوا يرون أن خير وسيلة إلى العلم إلقاء المحاضرات والدروس العامة على التلاميذ،وقال إنها لا تجدي إلا قليلا في تهذيب المدارك وتثقيف العقول، ثم اختار الأسلوب التحاوري أو الطريقة الحوارية،وهي في نظره كفيلة جدا بأن تربي في النشء قوة التفكير،وتستميله على البحث والتنقيب ،وذلك أنه كان يرمي دائما إلى تكوين عقول قادرة على استنباط الحقائق واستخراج النتائج.[140] لأن الناس يحتاجون إلى نقد عاداتهم ومفاهيمهم التي يجب في ضوئها....يمكن لهذه العادات والمفاهيم أن تتهذب وأن تصل إلى درجة من الرصانة تؤدي إلى موافقتهم العامة عليها.[141]

---

[139] وهبت إبراهيم سمعان: الثقافة والتربية في العصور القديمة، ص228،227.

[140] صالح عبد العزيز: تطور النظرية التربوية، ص134 وما بعدها.

[141] وهبت إبراهيم سمعان: الثقافة والتربية في العصور القديمة، ،ص152

المحور الثامن المذهب المثالي "أفلاطون"

تمهيد

أولا: حياته وكتاباته

1- حياته

2- كتاباته

ثانيا: فلسفته

1- نظرية المعرفة

2- المعرفة والنفس

3- نظرية المثل

تمهيد: يرى مؤرخو الفلسفة أنه لم ينشئ أي من الفلاسفة السابقون على أفلاطون مذهبا فلسفيا غني بالأفكار والنظريات والآراء مثلما هو مع أفلاطون.حيث كان أفلاطون أول شخص في التاريخ الفلسفي يبدع مذهبا شاملا عظيما في الفلسفة وهو مذهب له تشعّباته في جميع أنحاء الفكر والواقع،وأفلاطون بهذا إنما جعل كل الفكر السابق مجرد نوع من الإسهام في المذهب ،لقد جمع الحصاد الكلي للفلسفة اليونانية وتجسم في مذهبه خير ما عند الفيثاغوريين و الإيليين و هيراقليطس وسقراط.لقد استولى على أفكار هيراقليطس و بارمنيدس وسقراط لكنه لم يتركها كما وجدها.لقد اعتبرها بذور تطور جديد ولقد كانت هي الأسس الدفينة في الأرض التي شيد عليها صرح الفلسفة.فمن هو أفلاطون؟وما هي أهم آرائه الفلسفية؟وما الذي يميزه عن سابقيه من الفلاسفة؟

أولا: حياته وكتاباته

أفلاطون فيلسوف يوناني عظيم،بل يعدّه البعض أعظم فلاسفة العالم على طول تاريخ الفكر الإنساني.

1-**حياته**:ولد في أثينا على أرجح الأقوال في سنة 428 قبل الميلاد.وكان من أسرة أثينية عريقة في المجد،وكان أبوه يدعى أرستون Ariston ،وأمه تدعى فريقتيونه Perictione وكانت أخت خرميدسCharmides وبنت أخي اقريطياس Critiasاللذين كانا أعضاء في حكومة الأقلية (أوليغاركية) التي حكمت أثينا في سنة 3/403.

ويقال أن الاسم الأصلي لأفلاطون كان "أرستوقلس" Aristocles،ثم أطلق عليه اسم أفلاطون Platon فيما بعد بسبب سعة جبهته وعظيم بسطته.وبعد وفاة أمه نشأ أفلاطون في بيت زوج أمه تنشئة عالية تناسب الثقافة الرفيعة التي حفلت بها أثينا في عهد بركليس،أزهى العصور الفكرية في تاريخ اليونان القديمة.

بدأ أولا بدراسة الرسم،وراح ينظم قصائد.أما عن دراسته للفلسفة فقد ذكر أرسطو أنه اتصل في مطلع شبابه بأقراطيلوس وكان فيلسوفا على مذهب هيراقليطس.(أرسطو:"ما بعد الطبيعة" م ألفا،ف 6 صفحة 867 أ س 32،35).

لكن صاحب الفضل الحقيقي في تنشئته فلسفيا هو سقراط.يقول "ذيوجانس اللائرسي "أن أفلاطون تتلمذ على سقراط وهو في سن العشرين.وقد حضر أفلاطون محاكمة سقراط.لكنه لم يشهد موته،لأنه كان قد اعتزل إلى مدينة ميغارا Megara.

بعد قيامه بعدة رحلات إلى خارج أثينا عاد إليها حوالي سنة 388ق.م وأنشأ الأكاديمية حوالي سنة 387/388ق.م بالقرب من ضريح البطل أكاديموس.ومن هنا سميت بهذا الاسم"الأكاديمية"،ويعدّها البعض أول جامعة علمية أنشئت في أوروبا،إذ فيها شملت الدراسة جميع فروع العلم:من فلسفة،ورياضيات،وفلك،وفيزياء،...الخ.لقد كانت أكاديمية أفلاطون تدرّس لطلابها الرياضيات، والموسيقى، والفلك،وتتوّج التعليم بتدريس الفلسفة بمختلف فروعها(فيزياء،نظرية المعرفة،الجدل،علم الوجود،الخ)لتكوين السياسي الناجح والمثقف الكامل.لم يكن هدف أفلاطون يحاكي هدف السوفسطائيين بل "...كان هدفه أسمى من هذا بكثير.لقد كان يريد أن يثقف طلابه،ويزودهم بحب المعرفة والحكمة ليجعل منهم فلاسفة،بل لعله كان يقصد إلى جعلهم رجال سياسة،إنه لم يقم بتعليم أي معرفة خاصة،باشتثناء المنطق والرياضيات.ولكنه كان يقوم بتعليم أصول المعرفة والتربية والأخلاق والسياسة."[142]

وكان أفلاطون يلقي دروسه، ويسجل الطلاب مذكرات، وهذه الدروس لم تنشر،فقد كانت موجهة إلى التلاميذ.أما "المحاورات"فقد كانت موجهة لعامة الناس، ولهذا نشرها و أذاعها بين الناس، وقد وصلت إلينا كل "محاورات "أفلاطون.أما محاضراته ودروسه فلم يصل إلينا منها شيء.وكان أعظم تلاميذه هو أرسطو طاليس الذي التحق بالأكاديمية في سنة 367ق.م. [143]

وقد انشغل بقية حياته بالنشاط الأدبي وإدارة الأكاديمية التي أسسها.ولم يكن يتقاضى أجرا على عمله مثله مثل أستاذه سقراط.ولقد ظل طوال عقد من السنين يسكن في أثينا ويعلم بها،وكانت حياته ساكنة وهادئة وسعيدة،وقد مات وهو في الثانية والثمانين من عمره.[144]

2-كتاباته:

اتخذت كتابات أفلاطون شكل المحاورات في معظمها يشغلها سقراط الذي وضع أفلاطون على لسانه عرض فلسفته هو الخاصة.والمشكلة التي كثيرا ما تثار حول هذه المحاورات هي مشكلة صحة نسبتها إلى أفلاطون،فقد يظن البعض من حين لآخر أن هذه المحاورة أو تلك مدخولة أو من وضع أحد كتاب الأكاديمية الآخرين.ويبالغ البعض عندما يحذف الكثير من هذه المحاورات .ثم وجد الشرّاح أنفسهم إزاء مشكلة ترتيب المحاورات وكان أحسن ترتيب هو ترتيب العالم الاسكتلندي"لويس كامبل"cambellعام 1876م،وهو الذي استخدم المنهج الأسلوبي أو الفيلولوجي Stylistique لترتيبها.وقد لاحظ أن أسلوب أفلاطون في الكتابة قد تطور على مدى الخمسين عاما التي ظل يدون فيها.وقد انتهى المصنفون إلى تقسيم محاورات أفلاطون إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى:هي المجموعة التي كتبها أفلاطون في صدر حياته وهي محاورات الشباب وأكثرها يدور حول حياة سقراط ولذلك تسمى بالمحاورات السقراطية.

والمجموعة الثانية:هي محاورات الكهولة.

والمجموعة الثالثة:هي محاورات الشيخوخة.

وقد اعتمد هذا التصنيف في أغلب الأحيان على تطور فلسفة أفلاطون.[145]

ونذكر بعضا من هذه المحاورات التي بلغ عددها 26 محاورة، وذلك بعد طرح المحاورات المشكوك في صحة نسبتها إلى أفلاطون.

1-"بروتاغوراس"أو السوفسطائية. 7-"السياسة " أو في العدل.

---

[142]جورج سارتون:تاريخ العلم،الجزء الثالث،ص15.

[143]عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ص 156، 154.

[144]وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 116،115.

[145]أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان، ص 166، 165.وأنظر أيضا:يمنى طريف الخولي:فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية،ص 119.

2-"الدفاع عن سقراط".
3"أوطيفرون" أو في التقوى.
4-"جورجياس" أو في الخطابة.
5-"مينون"او في الفضيلة.
6-"فيدون" أو في النفس.
8-"بارمنيدس".
9-ثياتيتوس"أو في العلم.
10-"النواميس"
11- "طيماوس"
12-"المأدبة" أو في الحب.[146]

ثانيا:فلسفته

1- نظرية المعرفة:

أكثر ما اشتهر به" أفلاطون" تأسيسه لنظرية في المعرفة، تتجلى معالمها في نظريته المشهورة "نظرية المثل" ويعني بالمثال "eidos" الحقيقة الثابتة وراء الظواهر المحسوسة الدائمة التغير[147].

يبحث أفلاطون موضوع المعرفة في محاورة "ثياتيتوس"،وهي واحدة من كتاباته المبكرة في الابيستمولوجيا،وتدور المحاور برمتها حول تعريف المعرفة من خلال مجموعة من الأسئلة من قبيل:ما المعرفة؟ وما الفرق بين المعرفة والرأي الصحيح أو الصائب؟وما الشروط التي يجب أن تتوافر في المعرفة؟[148]

والحديث عن المعرفة عند "أفلاطون "يعني أول ما يعني واجب التفرقة بين العلم غير الصحيح والعلم الصحيح؛ بمعنى أن نفرّق بين الأقوال الشعبية وبين الأقوال العلمية الصحيحة، حيث يعتبر "أفلاطون" أن مصدر المعرفة عند عامة الناس هو أولا الإدراك الحسي، وثانيا التصور الصحيح. إلا أنه لا يعتبر الإدراك الحسي هو العلم بالمعنى الحقيقي، لأن الإدراك الحسي يصوّر لنا الشيء تصويرات متناقضة، فيصوّر الواحد باردًا وحارًا، وعليه فإننا نجد الحواس تخدعنا، و إلا فإنه إذا كان التصور هو العلم بالمعنى الحقيقي، فإننا لا نستطيع حينئذ أن نفسّر التصور الخاطئ، لأن التصور الخاطئ أو التصور بوجه عام، إما أن يتعلّق بما هو معلوم، وإما أن يتعلّق بما هو مجهول، وما يتعلق بما هو معلوم لا يمكن إلا أن يكون علمًا صحيحًا، فلا يمكن إذن أن يكون تصورًا خاطئا.

ويخلص "أفلاطون" إلى أن العلم والتصور ليس شيئا واحدًا؛ وإنما هو دائما الإدراك اليقيني المطابق للواقع. ولا يمكن أن يوجد ما يسمى بعلم خاطئ لأن هناك اختلافًا رئيسيًا بين حقيقة التصور الصحيح، وبين حقيقة العلم بمعناه الحقيقي، فالعلم يتعلق بحقيقة الأشياء، على أساس أن هذه الحقيقة حقيقة ضرورية صادرة عن طبيعة الأشياء نفسها، أما التصور الصحيح فلا يلاحظ فيه فكرة الضرورة. ويذهب أفلاطون إلى أن التصور الصحيح يتعلّق بالصيرورة، بينما العلم بمعناه الحقيقي يتعلق بالوجود، ومنه فالتصور الصحيح في نظره مرتبة وسطى بين الإدراك الحسي وبين العلم الحقيقي.

ولهذا فالحقيقة في نظر "أفلاطون" تمتاز دائما بالثبات، فإذا انعدم الثبات انعدمت الحقيقة.[149]

2- المعرفة والنفس:

---

[146]عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة، الجزء الأول،ص 157.

[147]أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، دار المعارف، مصر، 1988، ص 169

[148]صلاح إسماعيل:نظرية المعرفة المعاصرة، الطبعة الأولى، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص 35.

[149]**عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج 1، ص 157-160**

يربط "أفلاطون" بين المعرفة والنفس الإنسانية، ويعتبر النفس جوهرا عقليا لا يقبل الانقسام أو الحس أو الفناء بمعنى أنها خالدة. وبالرغم أنها جوهرا عقليا غير منقسم ،وأنها ذات طبيعة واحدة تشبه في ذاتها المثل،إلا أن الصراع الداخلي يجعلنا نميز بين العقل والانفعالات السفلى (الشهوانية)،والانفعالات النبيلة،والانفعالات الغضبية التي تتوسط العقل والانفعالات السفلى.[150]بمعنى أن "...هناك جزء من النفس يرتبط عضويا بالجسد أي بنظام الحاجيات والغرائز ويجد مركزه في أسفل الجسم حيث تشتهي النفس وترغب وتجوع...الخ .وهذه هي النفس "الشهوانية"...وتقابل هذا الجزء نفس أخرى، النفس العاقلة المتحررة من قيود الحس والمرتبطة بالعقل:إنها الجزء "الإلهي" في الإنسان ومركزها الرأس، فهي عين النفس من حيث أن لها علاقة مباشرة بالمعقول الذي نتأمله باستمرار.ولكن بين الرغبة والعقل هناك"العاطفة"،أي القلب الذي لا يعرف ولكن الذي يريد ويحدس"الخير":إنها الجزء المتوسط في النفس."[151] ويدلّل على موقفه هذا بما يلي: إننا حينما نرى المحسوس ننتقل بالضرورة إلى صورته، وندرك في الحال أن المحسوس غير الصورة، ويتساءل أفلاطون من أين هذا الاختلاف؟ وكيف حصلنا على العلم بالصور، إذا كان المحسوس ليس مكافئا للصورة؟ نفسّر ذلك بكون النفس قد عرفت هذه الصورة في حياة سابقة، وتتم عملية المعرفة هذه بفعل التذكر على أساس أن النفس كانت تحيى حياة عقلية وتأمّل للصور في عالم المثل ومنه فهي أزلية.

فنظرية المعرفة عند "أفلاطون "تضطرّه إلى القول بالتذكر، و إلا كيف تتم المعرفة بمعنى العلم، إذا لم يكن هناك تذكر من النفس لمعارف سبق لها وأن أدركتها وحصلتها في الحياة السابقة؟ فالعلم إذن هو ارتفاع فوق المحسوس يعبر عن جملة الأفكار والصور التي تصل إلينا عن طريق الحس، انطلاقا من أن الإنسان لا يبحث عن شيء يجهله كل الجهل، بل يبحث عن معرفة سابقة رآها في عالم المثل، تذكره بمناسبة الأشياء التي تظهر أمامه [152].

وما تجدر الإشارة إليه هو أن" أفلاطون "كان ينظر إلى الرياضيات على أنها أسمى صور المعرفة، وقد أسهم رأيه هذا كثيرا في إشاعة الرأي القائل بأن المعرفة لا تكون معرفة على الإطلاق، إن لم تتخذ صورة رياضية. و المقصود بهذا الكلام هو أن" أفلاطون"كان يستبعد تماما فكرة المعرفة التجريبية، على أساس أن حججها مبنية على احتمالات زائفة، ولأنه كان ينشد اليقين.[153]

ينتهي بنا المطاف في عرضنا لنظرية المعرفة عند "أفلاطون "عند تصنيفه لأنواع المعرفة في العلوم المختلفة استنادا إلى مبدأ التفرقة التي يقيمها بين العالم المحسوس والعالم المعقول، فيسمي المعرفة التي تستمد من العالم الحسي بالظن "Doxa" أما المعرفة التي تستمد من العالم المعقول فيسميها العلم أو التعقل "Noesis [154].

ويعرض" أفلاطون" درجات المعرفة الجدلية بمختلف أشكالها كما يلي:

فيقول: «فالعقل أرفعها، والفهم هو التالي له، والاعتقاد هو الثالث، والتخيل هو الأخير..» على هذا النحو يرتقى الفيلسوف في درجات المعرفة حتى تتم له رؤية الحقيقة التي تظهر في النفس كما ينبثق الضوء من الظلمة.[155]

---

[150]إبراهيم مصطفى إبراهيم:مفهوم العقل في الفكر الفلسفي،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،1993،ص 56.

[151]**أفلاطون:الجمهورية، ترجمة:حنا خباز، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 293.**

[152]**إبراهيم مصطفى إبراهيم:مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، ص 165، 178.**

[153]**هانز ريشنباخ: نشأة الفلسفة العلمية، ت: فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968، ص 38**

[154] **أفلاطون: الجمهورية، ت: جيلا لي اليابس، موفم للنشر، وحدة الرغاية، الجزائر، 1990، ص 307.**

[155]أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، ص 185

إلا أن أفلاطون لم ينكر تماما المعرفة الحسية،بل جعل مهمتها مد العقل بالأفكار الدائمة والتي تقوم عليها المعرفة.وذهب أفلاطون إلى أبعد من ذلك حين قال:إن الله لا يحكمنا مباشـــرة،بل إن الحكم يتم عن طريق العقل الذي وهبنا إياه،فالقوانين التي يقررها العقل إنما تحاكي قوانين العناية الإلهية،وحاول أفلاطون في فلسـفته أن يجمع بين العقل والعاطفة،فالعقل يبحث عن الحق وذلك باسـتخدام المنطق،والعاطفة تبحث عن الجمال لتكشف عن مكنوناته وتتبعه وتتعلق به تعلق المحب بالمحبوب.[156]

3- نظرية المثل

تعدّ نظرية المثل عند أفلاطون جوهر فلسفته، وهي تهيمن على تفكيره في كل موضوع يعرض له .فالموجودات التي نراها بأعيننا ليست إلا مجرد مظاهر،أشـبه ما تكون بالظلال أو الأشـباح في الكهف فكما يقول المثل الوارد في بداية "الجمهورية في الكتاب السـابع ،الصـفحة 514 وما بعدها :نحن نشـبه السـجناء في كهف ،فهم لا يعرفون الأحداث التي تقع خارج الكهف إلا عن طريق ظلالها التي تبدو على الحوائط الداخلية" وإذا كانت هناك معرفة حقيقية على الإطلاق وجب أن تكون موجودات موجودة وجودا حقيقيا،هذه الموجودات هي "المثل" ideas أو "الصور"forms، وكل نوع من هذه الأشياء يقابله مثال هو مصدره وعلته،مثال ذلك الخيل يبدو كل منها مختلفا عن الآخر وناقصـا مهما بدا جيدا،إنها مهما ظهرت في صـورة كاملة فهي فيما نرى لا بد أن يعتريها الضـعف وينتابها الزوال عاجلا أو آجلا .فمثال الفرس،أو بعبارة أخرى الفرس المثالي كامل وخالد أزلي،وهذا الفرس المثالي لا يمكن أن تتناوله رؤيتنا أو يدركه لمســـنا،ولكن بينما نلاحظ أن الأفراس التي يدرك بالحس تتعرض للفناء وليس لها وجود في ذاتها،نجد أن الفرس المثالي موجود وجودا حقيقيا.إنه النموذج الأصيل للأفراس الممكنة،المولود منها وغير المولود على السواء.[157]فقد اعتبر أفلاطون العالم المحسوس كله وهما ومن صنع الحواس،بحيث أن من يتأمل في ماهيات الأشياء وجواهرها ومبادئها الأولى الثابتة،يدرك أن العالم المحسوس أشباح وصور زائفة لا وجود لها إلا بقدر محاكاتها لعالم المثل،ذلك العالم السرمدي الثابت الوجود الذي لا يطرأ عليه أي تغيير،ذلك العالم الذي صيغت الأشياء على غراره.

فإذا كان عالم المحسوس موضوع الكون والفساد وأن من طبيعته الفناء، فإن المثل، من حيث هي مفارقة للمادة،كلية،لا تقبل الفساد ولا يجوز عليها.هذه المثل لا عمر لها ولا بداية لوجودها، لذلك فإن "عالم المثل عالم حقيقي ودائم، وليس المثال حقيقة الشـــيء وجوهره فحسـب، بل هو حده و اسمه، ومن ثم تزودنا المثل في نفس الوقت بأدوات المعرفة وعناصـرها الصـحيحة.إن المثل ليسـت مجرد أخيلة و أوهام،بل هي موجودات حية وأبدية،إنها صور ونماذج لمصادر المحسوسات، وهي في نفس الوقت تشبه الأشياء السحرية(الرمزية)."[158]

إن المثال هو، في نظر أفلاطون،"الحقيقة المطلقة"ذاتها،الخالدة،البسـيطة،المتعالية،التي لا توجد إلا بالنسـبة لذاتها وفي ذاتها قبل وجود أي شيء يمكن أن يستمد منها بعضا من صفاته أو خصائص ملازمة له.وعندما تكون المسألة على هذا الشكل،فإن معرفتنا بموضوعات الحس وقدرتنا على إصدار الأحكام بشأنها لا يمكن أن تكون حقيقية إلا إذا اتخذت كموضوع لها هذه الحقائق المطلقة،المستقلة عن فكرنا وعن عالم التغيير المادي.فالحكم على شيء ما بأنه جميل أو كبير أو مساو لشيء آخر، والحكم على فعل ما بأنه خيّر أو عادل...إن مثل هذه الأحكام لا إمكان لأن تستقيم لنا،من حيث هي كذلك،إلا بوجود الجمال في ذاته والكبر في ذاته والخير في ذاته والعدل في ذاته.

---

[156] إبراهيم مصطفى إبراهيم:مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، ص55،56.

.راجع أيضا:محمد علي أبو ريان:"تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون"،الجزء الأول،الطبعة الثانية،الدار القومية للطباعة والنشر،الإسكندرية،1965م،ص 158.

[157] جورج سارتون:تاريخ العلم،ا الكتاب الأول" الجزء الثالث ،العلم القديم في العصر الذهبي لليونان،القرن الرابع،ص 22،23.

[158] المرجع نفسه،ص 23.

غير أن سؤالا يطرح نفسه مفاده:ما هي العلاقة بين هذه الحقائق المطلقة، موضوع الفكر وحده، وبين الأشياء المحسوسة، موضوع الإدراك الحسي المباشر؟ على هذا السؤال يجيب أفلاطون بأن العلاقة هي علاقة"مشاركة"، بمعنى أن الشيء المحسوس يشارك المثال في صفته البارزة أو أنه يستمدها منه،من حيث أن المثال هو النموذج الجوهري الذي ينتظم الأشياء ويضيئها.[159]والمثال الأعلى هو مثال الخير الذي يشبه الله كل الشبه.ونحن نعرف الموجودات المحسوسة معرفة ظنية.أما المعرفة الحقيقية فلا يتسنى إقامتها إلا على أساس المثل المفارقة للمادة. من هنا كان هدف العلم التثبيت من هذه المثل وفهمها ومعرفتها، ويكون الفيلسوف الحق هو الذي يكون في مقدوره أن يدرك هذه المثل التي تقوم وراء المظاهر المتغيرة الخادعة، وهو يجد جزاءه الأوفى في مشاهدة(تأمل) أصفى المثل و أسماها...إن المثل هي العلل الوحيدة لجميع الموجودات،وهي موضوعات المعرفة الوحيدة،ونظرية المثل هي التي تعيننا على أن نبرهن على خلود النفس.[160]

[159]محمد هشام:في النظرية الفلسفية للمعرفة"أفلاطون-ديكارت-كانط"،إفريقيا الشرق،بيروت،لبنان،2001م،ص 18،19.

[160]جورج سارتون:تاريخ العلم "الكتاب الأول" الجزء الثالث،ص 23، 24.

المحور التاسع:المذهب الواقعي" أرسطو"

تمهيد

أولا:حياته وآثاره

1-حياته

2-آثاره

ثانيا:نظرته إلى الفلسفة

ثالثا:أقسام العلوم الفلسفية

رابعا:ما بعد الطبيعة(الإلهيات)

تمهيد:

سمي أرسطو عند الفلاسفة المسلمين ب"المعلّم الأول"أو "الحكيم"، إقرارا منهم بمكانته البارزة بين قدماء فلاسفة اليونان، الذين أخذوا عنهم أهم بنود فلسفتهم.وسماه الشاعر الايطالي الكبير "دانتي" في "الكوميديا الإلهية" ب"سيد العارفين".

لقد وضع أرسطو نظاما(نسقا) فلسفيا وعلميا متكاملا،يكاد لا يكون له نظير في تاريخ الفكر الفلسفي،من حيث شموله وعمقه وتماسكه وتنوع موضوعاته.وهذا هو الجانب الإبداعي من إنتاجه الفلسفي الذي كان له أعظم الأثر في تطور الفكر البشري قديما وحديثا.

فأرسطو هو واضع المنطق الصوري ،الذي بقي كما هو دون تعديل،وهو صاحب الفلسفة الخلقية التي أرسى مبادئها الكبرى التي تسند إلى الفرد ،من حيث هو كائن حر واع،يصبو إلى تحقيق ذاته وبلوغ أسمى مراتب الكمال.وهو إلى جانب ذلك ، صاحب فلسفة سياسية تقر بأن الإنسان لا يستطيع بلوغ هذه المرتبة من الكمال إلا في إطار مجتمع سياسي منظّم،وغن أفضل الأطر السياسية التي تتيح له تحقيق هذا الهدف هو الإطار الدستوري الذي تخضع له أفعال الحاكم والمحكوم جميعا لسيادة القانون.

وفي ميدان التساؤلات الميتافيزيقية لا زالت الأجوبة الفلسفية التي قدمها أرسطو في كتابه الشهير "ما بعد الطبيعة"،والتساؤلات الكبرى الخاصة بالكون والمعرفة والله ،مازالت تحتل الصدارة في كل نقاش فلسفي ميتافيزيقي.فمن هو أرسطو ؟وما هو منهجه الفلسفي؟وما هي أهم مكونات نظامه الفلسفي؟

أولا:حياته وآثاره

1-حياته

ولد أرسطو في أسطاغيرا من مدن ثرافيا في شمال اليونان سنة 384 ق.م.وكان والده نيقوماخوس،طبيب آمينتاس الثاني جدّ الاسكندر المقدوني،ويحتمل أن يكون أرسطو قد تمرّس في صباه بالتشريح على يد والده،واكتسب من جرّاء ذلك ولعا خاصا بالبحث العلمي الذي تتميز به آثاره الطبيعية.ولما بلغ سن الثامنة عشرة التحق بأكاديمية أفلاطون في أثينا (سنة 366 ق.م) وتتلمذ طوال عشرين سنة على

أفلاطون الذي كان يكنّ له خالص المودة ويشهد له بالتقدم حتى دعاه بالقارئ وبالعقل – أي عقل الأكاديمية– ولم يغادر ذلك المعهد إلا لدى وفاة معلّمه لأفلاطون (سنة 347ق.م).وقد كان أرسطو بدأ يتحول شيئا فشيئا عن مثالية أستاذه وينزع إلى المباحث الطبيعية.

وحوالي سنة 342ق.م أرسل "فيليب المقدوني" في طلب أرسطو ليتولّى تعليم ابنه الإسكندر،وهو لم يتجاوز الثالثة عشرة حينذاك.ويروى أن أرسطو لقّن لاسكندر مبادئ الأخلاقية والسياسية والعلوم السماعية والباطنية والطب.ولما توفي فيليب وتسلّم الإسكندر عرش مقدونية ،نزح أرسطو عن البلاط المقدوني في "بلا" ووفد على أثينا مرة ثانية سنة 334ق.م.[161]

بعد عودته إلى أثينا أسس مدرسته في حديقة كانت مكرسة لربات الشعر و"أبوللون ليكايوسlyceius ، أي واهب النور،ولذلك سميت باللوقيون،وكان من عادته أن يمشي مع تلاميذه في الصباح يتناقشون في المشكلات الفلسفية.وفي المساء يوجه دروسا لجمهور أكبر من الناس.[162]

بمعنى أن الدروس في اللوقيوم تقسم إلى قسمين:قسم صباحي وقسم مسائي.ففي الصباح كان يطوف& أرسطو مع تلامذته جيئة وذهابا في الرواق، محاضرا في المواضيع الفلسفية العويصة(كالمنطق والطبيعيات والإلهيات)، أما في المساء (أو عند العصر) فقد كان يحاضر في المواضيع الفلسفية العامة(كالبلاغة والسياسة).ومن هنا قسم المؤرخون تآليف أرسطو إلى قسمين :السماعيّة(acroamatique) وهي مؤلفاته الخاصة بالطلاب المتخصصين ،وقسم الجمهورية أو العامة.

وقد فاقت المدرسة في نظامها ومستوى الدراسة بها جميع المدارس المعاصرة لها ،جمع فيها أرسطو مئات المخطوطات فكوّن مكتبة تعد نموذجا احتذته مكتبات العالم كما أسس بها متحفا للتاريخ الطبيعي.

وفي هذا الجو العلمي الذي كان يهيمن على اللوقيون،وفي غضون ما يقرب من12سنة فقط ،ألّف أرسطو أهم آثاره العلمية والفلسفية.

2–آثاره

أما عن آثاره فيمكن أن نميز –كما تقول الدكتور أميرة حلمي مطر– بين ثلاثة مجاميع في مؤلفات أرسطو وذلك على النحو التالي:

أولا:مؤلفات الشباب التي كتبت في شكل محاورات وكانت تنشر ليقرأها جمهور واسع من غير المتخصصين وهي التي تسمى بالكتب المنشورة.

ثانيا:مذكرات خاصة بأرسطو نفسه، كان يجمع فيها معلوماته الخاصة بأبحاثه.

ثالثا:المؤلفات التعليمية التي كان يدرسها لجمهور خاص من الطلاب وهي عادة ما تسمى بالكتب المستورة.

ولم يصلنا إلا الصنف الثالث من مؤلفاته والتي هي الآن بين أيدينا وبفضلها عرفنا فلسفة أرسطو.

1–**الكتب المنطقية:** وهي تشتمل على:

- المقولات(قطيغورياس)
- التحليلات الثانية(أنالوطيقا الثانية)
- العبارة(بري هرمنياس)
- الجدل(طوبيقا)

---

[161] ماجد فخري:أرسطو، الطبعة الرابعة، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1999م، ص 10،9.

[162] أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان، ص 244،

& ومنه سميت المدرسة (péripatiques) أي المشائية.

- التحليلات الأولى(انالوطيقا الأولى) - المغالطات(سوفيسطيقا)

2-**كتب الطبيعيات**:وهي تشتمل على:

2-1-المؤلفات الطبيعية:

-مقالة الطبيعة(أو السماع الطبيعي) - في الكون والفساد

-كتاب السماء. -الآثار العلويةMeteorologica

2-2-علم النفس

-في النفس -في تعبير الرؤيا

-في الحس والمحسوس -في الحياة والموت

-في الذكر والتذكر -في التنفس

3-**البيولوجيا**:وهي تشتمل على:

-في علم الحيوان - في حركة الحيوان

-في أجزاء الحيوان -في نشوء الحيوان

4-**الإلهيات**: وتقتصر على:كتب ما بعد الطبيعة الأربعة عشر(métaphysique)

5-**الأخلاق والسياسة**: وهي تشتمل على:

-الأخلاق إلى نيقوماخوس -كتاب الأخلاق الكبير(magna moralia)

-الأخلاق إلى يوديموس -كتاب السياسة.

6-الخطابة والشعر(الفن):

-في الشعر:عد أرسطو الشعر فنا وليس أداة تعليم أو تربية.

-في الخطابة:وفيه دراسة لأساليب الإقناع والحجج المختلفة.[163]

فمجموعة مؤلفات أرسطو موسوعة ضخمة فهي تشمل المنطق،الميكانيكا،الطبيعيات، الفلك،الظواهر الجوية،النبات،الحيوان،النفس،الاخلاق،الاقتصاد،السياسة،الميتافيزيقا،الأدب...الخ، وليس للرياضيات مبحث مطوّل،ولكن توجد مناقشات كثيرة قيمة لموضوعات رياضية متناثرة في شتى كتبه.[164]

ثانيا:نظرته إلى الفلسفة

ذهب أفلاطون إلى أن الفلسفة هي بحث عن الوجود الحق، أي عالم المثل أو الكليات الأزلية، التي يفصح عنها عالم الحس إفصاحا ناقصا.ويأخذ أرسطو أول ما يأخذه على معلّمه أفلاطون ازدراءه عالم الحس وانصرافه إلى البحث عن طبيعة الأشياء في عالم مفارق لهذا العالم، لا ينبئنا بنوع صلته بعالمنا هذا على وجه صحيح.

---

[163]ماجد فخري:أرسطو، ص 14، 12. راجع أيضا:أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان،ص 247،250.

[164]جورج سارتون:تاريخ العلم،الجزء الثالث،ص 163.

وما دام العالم الذي نعيش فيه هو عالم الجزئيات الحسية، وجب أن تبتدئ الفلسفة من هنا،أي من عالم الصيرورة أو الحس الواقع تحت سمعنا وبصرنا.ومن هنا فإن غرض الفيلسوف الحق إن هو إلا التحري عن مبادئ الأشياء وعللها جميعا.لا التوقف عند المادية أو الفاعلة أو الصورية أو الغائية. ولكن من هذه المبادئ والعلل ما هو أوّلي وما هو ثانوي،فكان البحث عن أقصى العلل وأشرفها من اختصاص صاحب الفلسفة الأولى،وأشرف العلوم و أعلاها شأنا،فكان تعريفها إذن أنها" البحث عن علل الأشياء ومبادئها الأولى."

الفلسفة عند أرسطو إذن هي البحث عن العلل والمبادئ الأولى.ولما كانت العلل أربع،كان الاقتصار على إحداها في تأويل حدوث الأشياء تقصيرا.فأفلاطون ،إذ يقصر فعل الفلسفة على البحث عن ماهية المثل(أي العلل الصورية)،وحسب،إنما يقصر عن إدراك طبيعة الموجودات أو تأويلها. [165]

ثالثا:أقسام العلوم الفلسفية

للفلسفة عند أرسطو عدة أقسام تتفق بوجه عام مع أقسام الوجود الذي يفحص عنه كل قسم من هذه الأقسام،وتختلف أولية المبادئ التي يبحث عنها بحسب بعدها أو قربها من المبادئ الأولى.

ولما كانت أقسام الوجود ثلاثة:

1-قسم "يتحرك ويسكن من ذاته" وهو "الموجود القابل للحركة والذي لا يفارق المادة"-أي الموجود الطبيعي.

2- وقسم لا يتحرك، إلا أنه لا يوجد مفارقا للمادة- وهو الموجود الرياضي.

3-وقسم " أزلي لا يتحرك و لا يوجد في المادة" وهو الموجود الإلهي.

وجب أن يكون لدينا ثلاثة علوم نظرية: هي الطبيعيات والرياضيات و الإلهيات.

العلم الطبيعي، ويدخل فيه علم النفس وعلم الحيوان.

والعلم الرياضي ويدخل فيه علم الأعداد وعلم الأبعاد، وهي موجودات تجريدية غير قابلة للحركة،إلا أنها قابلة مع ذلك للاتصال بالمادة،فكانت وسطا بين الموجود الطبيعي(المادي) والموجود الإلهي(المفارق للمادة).

أما العلم الإلهي فيبحث في أشرف الموجودات وأولاها (أي الله والعقول المفارقة) أوّلا.وهو العلم الذي يليق بالكائن الإلهي دون سواه ثانيا. ومن هنا تسميته بالإلهي.ويدعوه أرسطو بالفلسفة الأولى،لأنه يبحث في مبادئ الأشياء وعللها الأولى.[166]وبذلك يكون هذا العلم"أي ما بعد الطبيعة" يبحث في الصفات العامة للوجود، ويحاول الوصول إلى نظرية عامة في طبيعة العالم. و إذا أخذنا بتعريف الفلسفة بأنها علم المبادئ، وجب أن نعتبر "ما بعد الطبيعة" العلم الذي يبحث في أعم المبادئ.وبذلك تكون مهمته البحث في معنى الوجود والتغير والإمكان والفعل والضرورة ونحو ذلك من المعقولات. [167]

ويعتبر أرسطو هدف هذه العلوم النظرية الثلاثة هو المعرفة النظرية فحسب، أي إدراك الحق، إلا أن من العلوم ما لا يهدف إلى المعرفة النظرية، بل يهدف إلى العمل، ومنها ما يهدف إلى الإنتاج.فتكون أجناس العلوم ثلاثة:جنس نظري وجنس عملي وجنس إنتاجي.

---

[165]ماجد فخري:أرسطو،ص 15،17.راجع أيضا:أرسطو:ما بعد الطبيعة، الكتاب الأول، ص، 991أ، نقلا عن:ماجد فخري:أرسطو.

[166]المرجع نفسه،ص 20.

[167]أزفلد كولبه:المدخل إلى الفلسفة،ص 24،25.

وتنقسم العلوم العملية بدورها إلى قسمين:الأخلاق، وهي تبحث في أفعال الفرد الإرادية وخيره الأسمى، من حيث هو فرد، والسياسة، وهي تبحث في أفعال الفرد وخيره الأسمى، من حيث هو عضو من أعضاء المجتمع(أو المدينة).

وأما العلوم الإنتاجية فتشمل عامة الفنون والصناعات التي تهدف إلى إنتاج ما هو نافع أو جميل.إلا أن أرسطو يخص منها بالعناية الخطابة، وهدفها الإقناع، والشعر، وهدفه التقليد أو المحاكاة.

ويمكننا أن نوجز أقسام العلوم عند أرسطو على الوجه التالي:

أ-أداة النظر، أو المنطق بأقسامه:باعتباره "آلة النظر"(organon) التي ينبغي أن يتوسل بها الناظر في أي صنف من أصناف الموجودات إلى إدراك الحق فيه.فهو الأداة النظرية لكل بحث نظري.

ب-العلوم النظرية:الرياضيات،الطبيعيات، و الالهيات.

ج -العلوم العملية:الأخلاق، السياسة.

د-العلوم الإنتاجية:الخطابة، الشعر.[168]

رابعا:الإلهيات(ما بعد الطبيعة،الميتافيزيقا)

يعد أرسطو مؤسس علم الميتافيزيقا، فهو الذي حدّد أهم مشكلاته وميز بينه وبين مجالات المعرفة الأخرى وتحدث فيه باعتباره علما مستقلا، غير أن البحث الذي يحمل الآن اسم "الميتافيزيقا" لأرسطو لم يكن يحمل هذا الاسم أصلا.فإن العنوان الذي اختاره أرسطو لهذا الموضوع هو الفلسفة الأولى، وهو يعني بها معرفة المبادئ الأولى للكون أو أشد هذه المبادئ سموا أو أشدها عمومية. وكل أفرع المعرفة الأخرى ثانوية بالنسبة لهذا العلم لا لأنها أدنى في القيمة بل لأنها أدنى في التسلسل المنطقي وهي تتناول مبادئ أقل عمومية في مجالها.

فكلمة ميتافيزيقا إنما أطلقت على هذا العلم من طرف ناشري كتبه وشراحه المتأخرين وكانت مجرد عنوان للكتب التي نشرت بعد كتب الطبيعة غير أن هذا العنوان سرعان ما أصبح يدل على الموضوع فقيل علم الميتافيزيقا أي ما بعد الطبيعة.[169]

فإذا كانت جميع العلوم الخاصة تتناول مجالا واحدا أو غيره للوجود، فأن "الفلسفة الأولى" يصبح موضوعها "الموجود بما هو موجود".[170]

لذلك صحّت تسميتها بالفلسفة الأولى، أو العلم الإلهي:إما لأنها طلب لأسمى المبادئ، أي الإلهية منها، أو لأنها من نوع العلم الذي يليق بالله، أو بالله فوق سائر الكائنات، لذلك كانت أشرف العلوم، و إن كانت أقلّها منفعة.

---

[168] ماجد فخري:أرسطو، ص 22، 21.

[169] أمير حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان،ص 263.

[170] وولتر ستيس :تاريخ الفلسفة اليونانية،ص 171.

فالعلم الإلهي يبحث مثلا عن مبادئ البرهان الأولى،وهي الأسس الكبرى للمعرفة العلمية أو اليقينية،وهل ثمة علم برهاني واحد يشمل جميع هذه المبادئ ويؤلف بينها. وعن الوجود ،من حيث هو موجود،وعن الأسباب أو العلل وأقسامها،وعن طبيعة الجوهر وأنواعه،وعن القوّة والفعل،وعن علّة الموجودات القصوى أو المحرّك الذي لا يتحرّك...الخ.[171]

ولما كانت الميتافيزيقا تدرس العلل الأولى للوجود،ولما كان الجوهر هو الموجود بالمعنى الأتم فإن الميتافيزيقا تعنى بتفسير علل وجوده،فإذا كان سقراط من أفراد البشر يعد جواهرOUSIA فإن لهم جميعا علة مفسرة لحقيقته وهذه العلة هي "الماهية" ،فلكي نعرف ماذا يكون سقراط مثلا،لا نقول عنه إنه أشقر أو طويل أو فيلسوف لأن هذه كلها صفات عرضية له و لا تفسر لنا حقيقته بوصفه موجودا.

يطرح أرسطو مشكلة منهجية خطيرة وهي:هل ثمة علم واحد يبحث في طبيعة الموجود، كموجود،وهل هذا العلم علم أصيل أم لا؟ إذ من الواضح أن سائر العلوم الجزئية تبحث في أقسام الموجود وأنواعه.ففيم يبحث العلم الإلهي إذن من الموجودات؟

-يجيب أرسطو عن السؤال الأخير بقوله:

أ- إن العلم الإلهي يبحث أولا عن المبادئ أو المفاهيم العامة التي تصدق على سائر الموجودات، فليست هي إذن من شأن أي من العلوم الخاصّة.وهذه المبادئ هي أساس كل علم:كقانون التناقض وقانون القسمة التامة.

ب- وعن الخصائص التي تصّح عليها جميعا ثانيا،كانقسامها إلى الصورة والمادة،وإلى القوة والفعل،وصلتها بالحركة وقابليّتها للصيرورة إلخ.

ج-و يبحث أيضا عن صنف من الموجود لا يتطرق إليه أيّ من العلوم الأخرى، وهو الجوهر المفارق الذي لا يتصل بالمادة و لا يقبل الحركة(أي الله والعقول المفارقة التي تحرّك الأجرام السماوية).

فعلم ما بعد الطبيعة عند أرسطو له معنيان:

معنى خاص يقتصر موضوع هذا العلم بحسبه على الجواهر المفارقة،وهو ما ينبغي دعوته بالإلهيات خاصّة.

ومعنى عام يبحث هذا العلم بحسبه في خصائص الموجود ما هو موجود، وهو ما ينبغي تسميته بعلم الوجود البحت(ontologie).[172]

بمعنى آخر، يبحث ما بعد الطبيعة في أعم صفات الوجود،كما يفهم "ما بعد الطبيعة" على أنه البحث في الوجود الحقيقي في مقابل العلوم الجزئية التي تعنى بالبحث في ظواهر الوجود.وعلى هذا الرأي تصبح مسألة " ما بعد الطبيعة" معرفة واجب الوجود لذاته،أي معرفة ما يجب أن يفترض وجوده بالضرورة وراء عالم الظواهر.[173]

خامسا:الأخلاق

يندرج مبحث الأخلاق ضمن العلوم العملية، التي تطلب المعرفة فيها من أجل الخير الأخلاقي أو الفضيلة.وهذه العلوم تنقسم بدورها إلى قسمين رئيسيين: الأخلاق والسياسة.ولكن التمييز بينهما لا يعدو كونه تمييزا بين فرعين لأصل واحد، يدعوه أرسطو عامة بالعلم المدني(أي السياسة)،وذلك أن حياة الفضيلة التي تبحث عنها الأخلاق، بالمعنى الدقيق، مرتبطة بسلامة النظام السياسي (أو المدني) الذي يعيش المرء في ظله، وسلامة هذا النظام مرتبطة بمكارم الأخلاق التي يتحلى بها الأفراد الذين تتألف منهم الدولة.فحياة الفضيلة صعبة

---

[171]ماجد فخري:أرسطو،ص 75،76.

[172]ماجد فخري:أرسطو، ص 77، 75.

[173]أزفلد كولبه:المدخل إلى الفلسفة،ص 26.

المنال، و الأخلاق الفاضلة لا تتأتى إلا بطول المراس، لغلبة الشهوة على الطبع.فكانت النواميس أو القوانين الصالحة من شروط الحياة الفاضلة،لما يقترن بها من قسر أو إلزام يلجئان الفرد إلى الحياة الفاضلة إلجاء،فمتى ألفتها النفس باتت من المطالب اليسيرة نوعا ما.[174]

والخير كما يقول أرسطو"هو ما يطلبه كل شيء"، والأخلاق هي شيمة سائر المباحث فحصا عن خير ما، هو الخير الخاص بالإنسان، من حيث هو إنسان، فما هو الخير في رأي أرسطو؟

يميز أرسطو بين الأفعال ونتائج الأفعال، وكلاهما من الغايات التي تطلبها الكائنات العاقلة،إلا أن الضرب الثاني من الغايات هو الأفضل، وأن الفعل من النتيجة هو بمنزلة الوسيلة من الغاية.ثم إن الغايات أشكال، تختلف باختلاف الأفعال والصناعات والعلوم التي تنصرف إليها.

ثم إن من الغايات ما يطلب من أجل ذاته، ومنها ما يطلب من أجل غيره، والأولى هي ما تطلب الثانية من أجلها، وإلا لتسلسل الأمر إلى ما لا نهاية، فباتت الرغبة أو الشوق باطلين.فوجب أن ينتهي الأمر إلى نهاية قصوى أو خير أسمى ،يطلب من أجلهما كل شيء.ومن البيّن أن هذه الغاية هي موضوع أشرف العلوم و أسماها،وتلك هي السياسة التي تسخّر لها فنون الحرب والاقتصاد والخطابة وسواها من الفنون الأخرى التي يتوسل بها المتشرع إلى تحقيق الخير العام الذي يتقدم على الخير الخاص ويفوقه منزلة،لأنه من علم الأخلاق بمثابة الأصل من الفرع. [175]

وقد أجمعت المذاهب الفلسفية على أن الخير الأسمى، أو الخير هو السعادة.وينبغي أن نشير إلى أن البحث عن الخير الأسمى يجب أن ينطلق مما هو بيّن لدينا، لا مما هو بيّن في ذاته.لأن الثاني أبعد عن متناول مداركنا البشرية، لقربه إلى التجريد، خلافا الأوّل.لذلك كان الوقوف على طبيعة الفضائل الخلقية أيسر لمن نشأ على حياة الفضيلة وتحلّى بالخصال الحميدة،ممّن لم يتحلّ بهذه الخصال.

فنقطة الانطلاق فالمباحث الخلقية، عند أرسطو، إذن هي حياة الفضيلة الفعلية، كما تتجلّى في سيرة الرجل الفاضل، لا المبادئ النظرية المجرّدة:فالرجل الفاضل عنده هو مقياس الفضيلة وليس العكس.

1-ماهية الفضيلة

لما كانت السعادة فعلا من أفعال النفس وفقا للفضيلة التامة،كان الفحص عن طبيعة الفضيلة ضروريا لتبيان ماهية السعادة تلك،لا سيما وأن الباحث في العلم المدني (والأخلاقي) إنما يبحث عن الفضيلة قبل كل شيء،مادام غرضه حمل أقرانه من أبناء المدينة (أو الدولة) على حياة الفضيلة وطاعة النواميس. ولكن ينبغي أن نقصر بحثنا في الفضيلة على الفضيلة الإنسانية، أي ما كان متصلا بالنفس خاصة، لا بالجسد، لأن السعادة فعل من أفعال النفس،لا من أفعال الجسد.

وتجدر الإشارة ،إلى أن هناك فئتين من الفضائل:الفضائل العقلية والفضائل الأخلاقية،أي الفضائل الخاصة بالقوة الناطقة،بحد ذاتها،والفضائل الخاصّة بالقوة النزوعية أو الشهوانية،حين تطيع نذير العقل أو تعنو لسلطانه،وهو مدلول الخلق أو الملكات الخلقية بالمعنى الدقيق.

---

[174] أرسطو:الأخلاق إلى نيقوماخوس،الكتاب العاشر،الفصل التاسع.نقلا عن :ماجد فخري:أرسطو،ص 103.

[175] أرسطو:أجزاء الحيوان، الكتاب الأول، الفصل الثاني.نقلا عن:ماجد فخري:أرسطو، ص 104.

ومن خصائص الفضائل العقلية أنها تكتسب بالتعليم وتنمو من جرّائه، لذلك كان بلوغها يتطلب زمنا وخبرة طويلين، في حين تكتسب الفضائل الخلقية بالتعوّد أو المراس، لذلك استحال فيها أن تكون بالطبع، لأن الطبع يستحيل تغييره.فالفضائل ،كما يقول أرسطو،"لا تنشأ فينا بالطبع و لا خلافا بالطبع.وكل ما في الأمر أننّا نفطر طبعا على اكتسابها،وتستكمل فينا (الفطرة) بحكم العادة".

وهذه الفضائل ترسخ في النفس بحكم الاعتدال وتفسد بحكم الإسراف، سواء في ذلك الإفراط أو التفريط، ومتى رسخت هذه الفضائل في النفس بات من اليسير الإقلاع عن كلا الإفراط والتفريط، فهي علة ومعلولة معا.

لنحدد ماهية الفضيلة على وجه التخصيص.أشرنا من قبل إلى أن المرء يصبح فاضلا من جرّاء ممارسة الأفعال الفاضلة،أي أنه يكتسب ملكة الفضيلة،بحكم التمرّس بالأفعال الفاضلة،ولكن يحق لنا أن نتساءل هنا:كيف يتسنى لامرئ ما أن يمارس مثل هذه الأفعال، ما لم يكن فاضلا، بادئ ذي بدء؟أي كيف تبتدئ حياة الفضيلة تلك أصلا؟ يجيب أرسطو أنه قد يتفق لامرئ ما أن يمارس أفعالا من نوع ما (هو ما يعرف بالأفعال الفاضلة) دون أن يكون فاضلا فعلا،وعندها تكون أفعاله تلك فاضلة بالعرض أو الاتفاق، أي أنها قد تتفق مع ذلك الصنف من الأفعال التي يفعلها الرجل الفاضل عادة، ولكي تصبح تلك الأفعال فاضلة بالفعل ويصبح فاعلها فاضلا بالفعل، يجب أن تتوفر فيها ثلاثة شروط:

-يجب أن يلم الفاعل بطبيعة الفعل الفاضل الذي يأتيه، أي أن يكون على بيّنة من أمره.

-وأن يختار أن يفعله طوعا، من أجل ذاته.

-وأن ينبثق الفعل عن خلق ثابت قويم".

وهذه الشروط الثلاثة الضرورية في تحديد الفضيلة،لأن المعرفة النظرية وحدها لا تكفي،وإتيان الفعل الفاضل لماما لا يدل على فضيلة فاعله،وما لم يمارس المرء الأفعال الفاضلة عن عمد طيلة العمر أو فترة منه،فقد قصر عن بلوغ مرتبة الفضيلة الحقة.[176]

[176] ماجد فخري:أرسطو، ص 109، 110.

قائمة المصادر والمراجع

أولا:باللغة بالعربية

1-إبراهيم مصطفى إبراهيم:مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1993م.

2-أحمد مدحت إسلام: الكون في فكر الإنسان قديما وحديثا، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1422هـ، 2001م.

3-أرسطو: الطبيعة، تحقيق:عبد الرحمن بدوي، 1964م.

4-أرسطو:أجزاء الحيوان، الكتاب الأول، الفصل الثاني.

5-أرسطو:الأخلاق إلى نيقوماخوس،الكتاب العاشر،الفصل التاسع.نقلا عن :ماجد فخري:أرسطو.

6-أرسطو:ما بعد الطبيعة، الكتاب الأول.

7-أزفلد كولبه:المدخل إلى الفلسفة،ترجمة :أبو العلا عفيفي،الطبعة الثالثة،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1955م.

8-أفلاطون: الجمهورية، ت: جيلا لي اليابس، موفم للنشر، وحدة الرغاية، الجزائر، 1990م.

9-أفلاطون:الجمهورية، ترجمة:حنا خباز، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

10-أفلاطون:في العلم(محاورة"ثياتيتوس")ترجمها عن النص اليوناني :عزت قرني،الطبعة الأولى،لجنة التأليف والتعريب والنشر،جامعة الكويت،2002م.

11-ألبرت إنشتين وليوبولد إنفلد:تطور علم الطبيعة "تحول الآراء من المبادئ الأولى إلى نظرية النسبية والكمات ،ترجمة:محمد النادي-عطية عاشور،مراجعة:محمد مرسي أحمد،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،2005م.

12-ألفرد تيلور:سقراط،ترجمة:محمد بكير خليل،مراجعة:زكي نجيب محمود،مكتبة نهضة مصر،القاهرة،1962م.

13-أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار المعارف بمصر، 1988م.

14-أميرة حلمي مطر:الفلسفة عند اليونان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1968م.

15-أندرية سكوت:جوهر الطبيعة،ترجمة:هاشم أحمد محمد،مراجعة:علي يوسف علي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1998م.

16-برتراند رسل:حكمة الغرب،الجزء الأول،ترجمة:فؤاد زكريا،عالم المعرفة ،عدد 62،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1403هـ/1983م.

17-توماس جولدشتاين :المقدمات التاريخية للعلم الحديث من الإغريق القدماء حتى عصر النهضة،ترجمة: أحمد حسان عبد الواحد،سلسلة عالم العالم المعرفة،العدد 296،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت ،سبتمبر2003م.

18-ج،ج ،كراوثر:قصة العلم ،ترجمة :يمنى طريف الخولي،و بدوي عبد الفتاح،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة،1999م.

19-جمال ميموني و نضال قسوم :قصة الكون من التصورات البدائية إلى الانفجار الأعظم، الطبعة الثانية ،دار المعرفة الجزائر،2002م.

20-جميل صليبا:المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، دار الكتاب المصري القاهرة مصر، 1979م.

21جورج سارتون:تاريخ العلم الكتاب الأول العلم القديم في العصر الذهبي لليونان،،الجزء الثاني ،القرن الخامس،ترجمة لفيف من العلماء،إشراف إبراهيم بيومي مدكور وآخرون،دار المعارف،القاهرة.

22-جورج سارتون:تاريخ العلم،ا الكتاب الأول" الجزء الثالث ،العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، الجزء الثالث،القرن الرابع، ترجمة لفيف من العلماء،إشراف إبراهيم بيومي مدكور وآخرون،دار المعارف،القاهرة.
23- جون ماكوري:الوجودية،ترجمة:إمام عبد الفتاح إمام،مراجعة:فؤاد زكريا،عالم المعرفة،الكويت،العدد 58، 1982 م.
24-جون هرمان راندال(الابن) و جوستاس بوخلر:مدخل إلى الفلسفة،ترجمة:ملحم قربان،دار العلم للملايين،بيروت،بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر،نيويورك،1963م.
25-روبرت أغروسوجورج ستانسيو:العلم في منظوره الجديد،ترجمة كمال خلايلي،سلسلة عالم المعرفة ،العدد 134، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت.
26-صالح عبد العزيز: تطور النظرية التربوية ،ط2، مزيدة ومنقحة، دار المعارف بمصر، 1964م.
27-صلاح إسماعيل:نظرية المعرفة المعاصرة، الطبعة الأولى، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م.
28-صلاح قنصوة:فلسفة العلم،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،1978م.
29-عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة، الجزء الأول الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، 1984م.
30-عبد الرحمن بدوي:موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، 1984م.
31-عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ،ط4 دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان،1981م.
32-علي سامي النشار،علي عبد المعطي محمد، ومحمود عبودي إبراهيم:ديمقريطس فيلسوف الذرة وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة،الهيئة المصرية العامة للكتاب،الإسكندرية،1972م.
33-فيصل بدير عون :فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية،الطبعة الأولى،مكتبة الحرية الحديثة،عين شمس،القاهرة،1980م.
34-ماجد فخري:أرسطو، الطبعة الرابعة، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1999م.
35- محمد عبد الرحمن مرحبا:من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،منشورات عويدات بيروت، باريس.
36- محمد علي أبو ريان:"تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون"،الجزء الأول،الطبعة الثانية،الدار القومية للطباعة والنشر،الإسكندرية،1965م.
37-
38-محمد هشام:في النظرية الفلسفية للمعرفة"أفلاطون-ديكارت-كانط"،إفريقيا الشرق،بيروت،لبنان،2001م.
39-هانز جيورج غدامير:بداية الفلسفة ،ترجمة:علي حاكم صالح،د .حسن ناظم،الطبعة الأولى،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت-لبنان،2002م.
40-هانز ريشنباخ: نشأة الفلسفة العلمية، ت: فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م.
41-وهبت إبراهيم سمعان: الثقافة والتربية في العصور القديمة،دار المعارف بمصر،1961.
42-وولتر ستيس:تاريخ الفلسفة اليونانية،ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد،الطبعة الثانية،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،1425هـ،2005م.

43-ويل ديورانت : قصـــة الفلســـفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ت:د.فتح الله محمد المشـــعثع،ط5 منشـــورات مكتبة المعارف بيروت،1985م.
44-ويلارد فان أورمان كواين :من وجهة نظر منطقية "تســع مقالات منطقية فلســفية"،ترجمة:حيدر حاج إسماعيل،مراجعة: يوســف تيبس، الطبعة الأولى ،المنظمة العربية للترجمة،بيروت لبنان،سبتمبر 2006م.
45-يمنى طريف الخولي:فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،2000م.

ثانيا: باللغة الأجنبية

1-Aristote :Œuvres Completes,par Barthélemy-saint Hilaire, Métaphysique 2 Vols par Tricot, paris,1932
2-Burnet; j: Early Greek philosophy; London, 1949
3-Corn ford: F, M: Plato's Theory of Knowledge ،London Kegan Paul, 1935,
4-Cyril Bailey: The Greek Atomic and Epicurus; the Clarendon Press, Oxford; 1928
5-F.H .Bradley; Appearance and Reality; A Metaphysical Essay; Oxford of the Clarendon press; London, 1959,
6- G,W.Hegel,Science of Logic,vol ,1,trans by U,H,Johnson and L.G,Struthers,George Allen, and L,T,D, Unwin,London;1951
7- R, G, Collingwood, The idea of Nature, Oxford, 1957;
8-Jaspers; K; The origin and Goal of History: translated by Michael Bullock: New Haven; Yale University Press; 1953;
9-W , Hegel. The philosophy of right, Trans by T, M Knox, Oxford of the Clarendon press; London, 1942,
10-Robin : La Pensée Grecque et Les Origines de L'Esprit Scientifique ; Albin Michel, 1948,